IUGJEPS
Vol 29, No 1, 2021, pp 80 -115

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2019-12-14)، تاريخ قبول النشر (2020-01-19)

بناء الشخصية المحسنة في القصص القرآنيّ: يوسف عليه السلام نموذجاً

اسم الباحث: د. خلود "محمّد أمين" الحواري*

1 اسم الجامعة والبلد: قسم الدّراسات القرآنيّة-كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة-جامعة طيبة -السعوديّة

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: Khulud5576@Yahoo.com

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.29.1/2021/5

الملخص:

قَصَد البحث إلى بيان ما أودعه الله في قصص كتابه، من جلال وجمال، في البناء الأمثل للشخصيّة، وتحقق القدوة في أرفع نماذج البشر؛ في أنبياء الله المُصْطَفَيْن من خلقه، متخذاً الإحسان في شخصيّة يوسف عليه السّلام وسيلة ذلك. حيث تمثلت معالم الشّخصيّة المُحسِنَة، المثالية، المتقنة، الوقّادة في شخصيّة يوسف عليه السّلام أيّما تمثيل، ونطق به القرآن اسماً في حقه ذكراً لافتاً في مواطن شتّى، شهادة من الله، وشهادة من خلقه، وشهادة من يوسف عليه السّلام نفسه متحدّثاً بنعمة الله عليه؛ فعمد البحث إلى تدبّر آيات قصّته، وبيان ملامح هذه الشّخصيّة المُحسِنَة، وأجلّ معانيها. وخلص إلى تحقيق يوسف عليه وعلى نبينا الصّلاة والسّلام لعوامل الإحسان فكمل مراتب التّقوى كما كمل مراتب الصبر. وإلى تنوّع صور الإحسان في شخصيته إحساناً إلى النّفس بكمال العبادة؛ والتّرقي في مقام التّقوى ومراقبة الله، وإحساناً إلى الآخرين وإجزال النّفع إليهم؛ حتّى شهد له بذلك كل من حوله والتّقى به، جذوة عطاء، تمنح الصّلاح لكل جوانب الحياة. وإلى تنعمه عليه السّلام بثمرات الإحسان، وعطايا الرّحمن: حكماً، وعلماً، وتمكيناً في الأرض، وثبات أجر وتوفيته، وما عند الله خير وأبقى، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

كلمات مفتاحية: بناء الشّخصيّة، قصّة يوسف، الإحسان في القرآن.

The Construction of Benevolent Personality in Al-Qasas Al-Quraani Prophet Joseph peace be upon him as a Model

Abstract:

The aim of the study was to clarify what God has put in the stories of his Noble Book stories, of majesty and aesthetics, in the ideal construction of personality and to achieve the concept of role model in the highest human models represented by the selected prophets; taking benevolence in the personality of prophet Josefh as a means for achieving this. Benevolence as one of the most top worships in humans and the features of the ideal charitable personality glowing in the personality of prophet Josefh as one of the most significant features in this personality, is evident in Prophet Josefh's story. The Noble Quran mentioned this while citing different examples of Prophet Josefh in various contexts as this prophet talked about this feature as a blessing by God, a testimony from God, from his creatures, and the research worked on analyzing and criticizing Ayat of this story and worked on clarifying the features of this personality and its distinguished attributes. The study concluded that the personality of prophet Josefh has achieved all of these features, illustrating the concept of benevolence. He demonstrated the highest degrees of righteousness, the higher ranks of patience, the different forms of benevolence in prophet Josefh personality, an benevolence to the soul by the completion of worships and transcendence in the position of righteousness and God's supervision, being benevolent to others and to benefit them and this was testified by all around him and met him. He was a light of giving rightness to all life aspects and that prophet Josefh was a model of benevolence and the gifts of the All Mighty in the form of wisdom and knowledge on Earth as what is from God will last forever. It is well known that benevolence leads to benevolence.

Keywords: The Construction of Personality. Prophet Josefh's story. The Benevolent in Quraan.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وأودع في أحسن قصصه دليلاً لكونه حقّاً وصدقاً، وموطناً للعبرة، وللقدوة محلّاً، والصّلاة والسّلام على سيّد المُحسِنين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله، وصحابته المهتدين، ومن اقتفى أثره إلى يوم الدّين، أما بعد:

فيقيناً بما جعله الله في قصص كتابه، منِ مواطن الجلال، والجمال، ومكنون الدّرر، حيث عظمة المقصد، وروعة الأسلوب، والبناء الأمثل للشخصيّة، وتحقّق القدوة في أرفع نماذج البشر؛ في أنبياء الله المُصْطَفين من خلقه، غدا بناء الإحسان في شخصيّة يوسف عليه السّلام مقاماً للبحث.

فالشّخصيّة المُحسِنَة هي شخصيّة مثاليّة، متقنة، وقّادة، تشعر بقيمة العمل، ويتحقّق فيها معاني التّقوى والصبر والمجاهدة؛ لتحصيل الجودة، ويرقى بها البشر نحو قيام الحضارة والتّمكين وعمارة الأرض.

قوّة داخلية محفزة، تتربى في كيان المسلم لتشمل الإحسان إلى النّفس بكمال العبادة؛ والتّرقي في مقام التّقوى ومراقبة الله، والإحسان إلى الآخرين بضبط السّلوك وإجزال النفع، ومنه الصفح عن المسيء الذي هو أفق العظمة ووسم الخاصة، بل هو عنوان عريض ينضوي تحته كل عبادة شرعيّة أو سلوكيّة، فهي قمة الطّاعات والقربات.

وقد تمثلت معالم الإحسان في شخصيّة يوسف عليه السّلام أيّما تمثيل، ونطق به القرآن اسماً في حقه ذكراً لافتاً في مواطن شتّى، شهادة من الله، قال تعالى: **(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** الأنعام:84، وقال تعالى: **(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** يوسف: 22 وقال: **(وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)** يوسف: 56، وشهادة من خلقه على لسان الفَتَيَيْن رفقاء السّجن طالبي تعبير الرؤى، قال تعالى: **(وَدَخَلَ مَعَهُ السّجن فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)** يوسف: ٣٦. وعلى لسان إخوته: **(قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)** يوسف: ٧٨، وشهادة من يوسف عليه السّلام نفسه متحدّثاً بنعمة الله عليه: **(قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنّه مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)** يوسف: **90**، فعمد البحث إلى تدبّر آيات قصته عليه السّلام لبيان ملامح شخصيته المُحسِنَة وأجلّ معانيها.

أهمية الدّراسة:

تتجلى في كونها تبحث في القصص القرآنيّ؛ وبناء الشّخصيّة في القصّة القرآنيّة حيث ترسم مكوناتها وسماتها بملامح تصويرية دقيقة، وقوّة عرض محكمة.

فيظهر المنهج التّربوي للقصّة القرآنيّة إذ تقدم نموذجًا عمليًا لحياة البشر، محققة مجموعة من الدّروس والعظات، سواءً أكانت شخوصاً مثالية محلاً للقدوة، أو شخوصاً سلبية مقاماً للاعتبار.

مشكلة الدّراسة:

يمكن تلخيصها بالسّؤال الرّئيس: ما معالم الإحسان في بناء شخصيّة يوسف عليه السّلام الّتي استدعت ذكراً عطراً لافتاً لوسمه بالإحسان قي القرآن في مواضع شتّى؟ ويندرج تحته الأسئلة الفرعية الآتية:

ما مفهوم الشّخصيّة؟ وما عوامل بنائها في القصّة القرآنيّة؟ وما ملامح شخصيّة يوسف عليه السّلام كما صورها القرآن؟ ما عوامل الإحسان وصوره وثمراته في شخصيته؟

أهداف الدّراسة:

تهدف هذه الدّراسة إلى:

1- استنباط ملامح شخصيّة يوسف عليه السّلام كما صورها القرآن من خلال الحدث ومحاورات الشّخوص.

2- تفصيل معالم بناء الإحسان وشواهده في شخصيّة يوسف عليه السّلام الّتي هتفت بعبق ذكره اسماً على الإحسان في مواضع شتّى.

3- بيان تحقيق يوسف عليه السّلام لعوامل الإحسان ومرتكزاته الذي انتظم صبره وتقواه، ومن ثم إبراز تنوع صور الإحسان في شخصيته، فعرض لثمرات إحسانه ومظاهر إكرام الله له في الدّنيا والآخرة.

4- الدّعوة إلى التّأسي والاقتداء بيوسف عليه السّلام مَثَلاً أعلى في الإحسان.

محددات الدّراسة:

دراسة معالم شخصيّة يوسف عليه السّلام المُحسِنَة كما أنبأت بها أحداث قصته في القرآن الكريم.

الدراسات السّابقة:

سبقت الدّراسة بأخر عامة حول الإحسان في القرآن منها:

-الإحسان في ضوء الكتاب والسنة دراسة موضوعية، أحمد الغامدي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 1423هـ، وقد عرض فيها إجمالاً لقصّة يوسف عليه السّلام، وإحسانه بعفوه وصفحه في حوالي خمس صفحات تحت عنوان صور من إحسان يوسف عليه السّلام.

-الإحسان في القرآن دراسة موضوعية، عبد الله الزيوت، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن 2002م، ولم تتناول أي من صور إحسان يوسف عليه السّلام.

لكنني لم أقف على مَن تناول الإحسان في شخصية يوسف عليه السّلام ومعالم بنائه في دراسة جامعة وفق محددات الدّراسة؛ وإنما هي إشارات تناثرت في كتب التّفسير، والقصص القرآنيّ وبعض مقالات في الشبكة العنكبوتية. إلى أن نبهني أحد المحكمين لوجود بحث لد. عبد الله آل حسين بعنوان (وجوه إحسان يوسف عليه السلام في سورة يوسف) منشور في مجلة العلوم الشرعيّة واللغة العربية/جامعة الأمير سطام، ولما وقفت عليه رأيت توارد البحثين في الاعتناء بإحسان يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بعد ذكر لافت لوصفه بالإحسان، إلا أنهما اختلفا في المنهج والعرض والتّخطيط؛ تبعاً لاختلاف محددات الدّراسة، فقد جعل آل حسين بحثه في دراسة مفردة المحسنين ودلالاتها في سورة يوسف، وجعل هدفه الأبرز دراسة صبر وإحسان يوسف تجاه الفتن الّتي ألمت به، وخطط في سبيل ذلك بالتّمهيد حول التّعريف بالإحسان وذكر آياته في سورة يوسف، ثم جعل الإحسان في وجوه ستة: في توحيده لله ، وصبره، وحسن خلقه، وشكره لربه، وبره، ودعائه ومناجاته، ثم ختم بذكر ثمرات الإحسان.

في حين كان بحثي في استنباط معالم شخصية يوسف عليه السلام المحسنة بعد التّمهيد بعرض خصائص بناء الشّخصية في القصة القرآنيّة، ومن ثم بيان ملامح شخصية يوسف عليه السلام عامة، ثم استنباط الحقائق القرآنيّة حول الإحسان كمقدمة لبيان تمثلها في حق يوسف عليه السلام الذي فصلت في تحقيقه عوامل الإحسان ومرتكزاته ألا وهي الصبر والتّقوى، وكانت بعض مظاهر تقواه الّتي ذكرت دعوته للتوحيد وشكره ودعائه لله، وهي الوجوه الثلاثة الّتي ذكرها الباحث، وكذلك فصلت في صبره ومقاماته، ثم عرجت إلى بيان مجالات شخصيته المحسنة إلى نفسه، ثم إلى الخلق وكان منها ما أشار إليه الباحث من حسن خلقه وبره.

منهج الدّراسة:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي لمواضع ورود الإحسان عامة في القرآن للوصول إلى الحقائق القرآنيّة حول الإحسان تمهيدا لدراسته في حق يوسف عليه السّلام، وكذلك استقراء مواضع ذكر إحسانه عليه السّلام، وما يمكن أن يكون شاهداً على

تمثله لعوامل الإحسان وصورة من صوره وثمرة من ثماره، ثم تصنيفها بحسب تخطيط البحث، ومن ثم المنهج التّحليلي الاستنباطي في تحليل الشواهد وتدبّرها واستنباط معالم شخصيته وإحسانه.

وقد طمح البحث إلى بيان معالم بناء الإحسان في شخصيّة يوسف عليه السّلام وفق المخطط الآتي:

تمهيد: بناء الشّخصيّة في القصّة القرآنيّة.

المبحث الأول: يوسف عليه السّلام وملامح شخصيته في القرآن.

المطلب الأول: التّعريف بيوسف عليه السّلام.

المطلب الثاني: شخصيّة يوسف عليه السّلام في القرآن.

المبحث الثاني: الإحسان في شخصيّة يوسف عليه السّلام.

المطلب الأول: حقيقة الإحسان.

المطلب الثاني: عوامل الإحسان في شخصيّة يوسف عليه السّلام.

المطلب الثالث: صور الإحسان ومجالاته في شخصيّة يوسف عليه السّلام.

المطلب الرابع: ثمرات الإحسان في شخصيّة يوسف عليه السّلام.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتّوصيات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد: بناء الشّخصيّة في القصّة القرآنيّة

الشّخصيّة من (شخص) وهو أصل في الارتفاع والظهور والبروز، كما قال ابن فارس [1].

وقد اختلفت كلمات المعرّفين ورؤى المنظّرين في بيان حدود مفهوم الشّخصيّة بما لا يغفل أصلها اللغوي، إذ هي علامة لذاتية الإنسان البارزة المتميزة.

ولعل الاتجاه الأمثل في بيان ذلك إنّها نتاج متميز متآلف لعقلية الإنسان، وما ينتج عنها من مفاهيم ونفسيته وما تسببه من ميول. فالشّخصيّة صفة دالة على توحد في اتجاه الإنسان، واستواء في عقله الأشياء وميله إليها قبولاً ورفضا [2].

وتعدّ الشّخصيّة من أهم عناصر القصّة الأدبية تكاملاً مع الحدث، فلسنا مع من يرى أن الشّخصيات تقدم لنا الصفات فقط وسعادتنا وبؤسنا يكمنان في الأحداث نفسها، لأن الشّخوص تستخدم لتقديم الحدث، أو مع من يرى أنّ الشّخصيّة قد احتلت مكانتها الرفيعة في رأس الهرم، حيث إن محور الاهتمام هي الشّخصيّة. بل إنّ الشّخصيّة ماهي إلا منبع الحدث، والحدث ما هو إلا إيضاح للشخصيّة [3].

وبالتّكامل نفسه عرضت الشّخصيّة والحدث في القصّة القرآنيّة وحفل بهما معًا، وانتهج منهج المزاوجة والتّوازي بينهما [4].

فقد عني القرآن الكريم وقصصه العظيمة بتصوير الشّخصيات ورسمها، سواء بالطريقة التّقريرية المباشرة أو من خلال الأحداث، ومواجهة الشّخصيّة لهذه الأحداث [5].

1) ابن فارس، مقاييس اللغة 254/3، وينظر بنحوه: الجوهري، الصحاح تاج اللغة 1042/3، وابن منظور، لسان العرب 45/7.

2) ينظر: محمّد إسماعيل، الفكر الإسلامي ص81، ومصطفى عليان، بناء الشّخصيّة في القصّة القرآنيّة ص266-267.

3) ينظر: مها صديق موسى، التّرابط التّكاملي بين الحبكة والشّخوص، ص168-172.

4) ينظر: محمّد عبد دبور، أسس بناء القصّة في القرآن الكريم، ص339.

5) أحمد نوفل، تفسير سورة يوسف، دراسة تحليلية، ص127.

فالقصّة القرآنيّة تضع أمامنا معالم الشّخصيّة الّتي تتحرك في أثناء القصّة، أو تتمحور حول أحداث القصّة، وتشارك مع غيرها في بناء القصّة، فتحدد نوعية الشّخصيّة من خلال العرض القصصي، ويعين الحوار على تصوير الشّخصيّة وتحديد معالمها وكشف دواخلها [1] فهو متصف بما يعرف بالذاتية حيث يعبر عن ذوات المتحاورين وأشخاصهم أصدق تعبير وهو لا يكاد يتحقق في قصّة أدبية كاملة [2].

فبتأمل محاورات إبراهيم عليه السّلام لأبيه مثلا نقف على جانب الأناة والحكمة في شخصيته، وعلى جانب النباهة والذكاء في تأمله ملكوت الله، ومحاجّته للنمرود، وعلى كمال إذعانه وتسليمه في محاورته لإسماعيل عليه السّلام، ومسارعته إلى ذبحه تنفيذًا لأمر الله.

وكذلك نقف على كمال صبر نوح عليه السّلام في دعوته؛ حيث طول المدة، وتنوع الأساليب، من خلال محاوراته مع قومه.

وهكذا يكشف القصص القرآنيّ أبعاداً مهمة في الشّخصيّة، وقد امتاز رسم الشّخصيّة في القصّة القرآنيّة بملامح تصويرية دقيقة، وقوّة عرض محكمة، حيث صورت الشّخصيّة أروع تصوير، برزت فيه سماتها ومكوناتها في بعدها النّفسي، وهو البعد الأهم في الشّخصيّة، لأن هذا البعد هو جوهر الإنسان، ومكمن طاقته وقدراته، ومنطلق سلوكه وخوضه لغمار الحياة ومعترك الأحداث [3].

فيظهر المنهج التّربوي للقصّة القرآنيّة إذ تقدم نموذجًا عمليًا لحياة البشر محققة مجموعة من الدّروس والعظات سواءً أكانت شخوصاً مثالية محلّاً للقدوة، أو شخوصاً سلبية مقامًا للاعتبار [4].

فللقصص القرآنيّ بما تضمنه من توجيهات تربوية، ومثل عليا، وحكم، ومواعظ، وتعليم لأصول العقيدة، وما ينبثق عنها من قيم أخلاقية، وأعمال سلوكيّة، دوره الفعال في المجتمع الإسلامي عامة.

وفي إثارة الفكر وتحفيزه، وإحياء الضمير وتنشيطه، وإرهاف حاسة التّقوى وشحذها.

فليست الشّخصيّة مرادة لذاتها، ولكن للتأسي بالشّخصيّة الخيّرة والتّنفير من الشّخصيّة الشريرة [5].

لذلك لم يعن القرآن برسم الخطوط الشّكلية للشخصيّة، ولم يبدد انتباه القارئ ووعيه في تتبع السمات الخارجية للشخصيات خصوصاً الثانوية منها؛ لأن ذلك لا يخدم غرضاً من القصّة، بل إنّه لا يذكر هذه الشّخصيات بأسمائها مادامت لا تقدم في شكل القصّة أو مضمونها شيئًا مذكورًا.

إنها نماذج عامة تساق للمعتبرين من أولي الألباب، وتزداد متعة القارئ بهذه السمة العمومية، ويتبارك انتفاعه بدلالاتها.

وكذلك في مجال تصوير الشّخصيات فإن القصّة تصور اللقطات والمشاهدات الّتي لها علاقة قوية ببلورة سماتها، وكشف قسماتها الأصلية، وبيان رؤاها إلى الحياة وأحداثها [6].

كل ذلك في يسر وسهولة ووضوح لا يضاهيه وضوح في أشد أعمال الروائيين إبداعاً، ودون اعتماد في عرضها على الخيال والإيحاء كما يحلو للقصاص، بل إنّ الواقعية والصدق خصيصة مطردة في بناء الشّخصيّة في القصّة القرآنيّة، إذ إنّ الإسلام لا

1) ينظر: محمّد رشدي عبيد، قصّة يوسف في القرآن الكريم، دراسة أدبية، ص38.

2) ينظر: محمّد عبد دبور، أسس بناء القصّة في القرآن الكريم، ص338.

3) ينظر: أحمد نوفل، تفسير سورة يوسف، ص39،ص 127. وعمر محمّد باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، ص126.

4) ينظر: خالد الدولات، الشّخصيّة في القصّة القرآنيّة، ص28-27.

5) ينظر: التّهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، ص334، ص360، ومحمّد رشدي عبيد، قصّة يوسف في القرآن، دراسة أدبية، ص61.

6) ينظر: محمّد رشدي عبيد، قصّة يوسف في القرآن، دراسة أدبية، ص68،61.

يجانب الصدق والواقع في تصوره لحقيقة الإنسان باستعداده وفطرته وقوته وضعفه، ولذلك لم يحل رسوخ البناء العقدي في الشّخصيّة من ظهور نوازع الجبلة البشرية من خوف ونسيان وغضب وتسرع..... الخ [1].

وأما عن توزيع الشّخصيات في القصّة القرآنيّة فإنّ الفن القصصي يقتضي وجود شخصيّة واحدة ظاهرة على باقي الشّخصيات تسمى (شخصيّة البطل) تكون حياته ومواقفه هي محور الحدث الرّئيسي، وتؤثر تأثيراً فعالاً في العلاقات بين الشّخوص الأخرى الّتي لكل منها دور بارز في القصّة متفاعل مع غيره حيث لم تهمل القصّة ذكر السمات الأساسية لهذه الشّخوص جميعها مع اهتمامها بشخصيّة البطل [2].

المبحث الأول: يوسف عليه السّلام، وملامح شخصيته في القرآن

المطلب الأول: التّعريف بيوسف عليه السّلام

لا أوفى في هذا المقام من تعريف أكرم البشر سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم لأخيه يوسف عليه السّلام، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: " الكريمُ، ابنُ الكريمِ، ابنِ الكريمِ، ابنِ الكريمِ، يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليهم السّلام "[3]، وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " سُئِل رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم أيُّ الناسِ أكرَمُ؟ قال: **(أكرَمُهم عِندَ اللهِ أتقاهم)**. قالوا: ليس عن هذا نَسأَلُك، قال: **(فأَكرَمُ الناسِ يوسُفُ نبيُّ اللهِ، ابنُ نبيِّ اللهِ، ابنِ نبيِّ اللهِ، ابنِ خليلِ اللهِ)**. قالوا: ليس عن هذا نَسأَلُك، قال: **(فعن مَعادِنِ العربِ تَسأَلونَني)**. قالوا: نعمْ، قال: **(فخِيارُكم في الجاهليةِ خِيارُكم في الإسلامِ، إذا فَقُهوا)** [4].

فنسبه مسلسل بشرف النبوة والرسالة فهو أحد أنبياء بني إسرائيل حمل إصر دعوتهم إلى الهدى، وقد أشار القرآن إلى نشأته وتنقله فمن الأرض المقدسة في رحلة قسرية إلى مصر، وفيها مكن له. وفيها توفي ودفن، وقيل إنّه أوصى أن يحمل ميتاً عوداً إلى الأرض المقدسة ليدفن عند آبائه [5].

وقد ورد ذكر يوسف عليه السّلام في القرآن الكريم سبعاً وعشرين مرّة، منها خمس وعشرون مرّة في سورة يوسف، وفيها ذكرت قصته – بتمامها وطولها بطابع متفرد بين القصص القرآنيّة الأخرى –، ومرّة دون قص شيء من خبره في سورة الأنعام بكونه أحد أنبياء الله المحسنين من ذرية أبي الأنبياء الخليل إبراهيم إذ يقول سبحانه عن إبراهيم: **(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)**. الأنعام" 84.

وأخرى في سورة غافر في مقام الوعظ والاعتبار والذم والتّبكيت لبني إسرائيل لارتيابهم وتنكرهم للبينات الواضحات الّتي جاء بها يوسف تأييداً لدعوته: **(وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (34))**.

المطلب الثاني: سمات شخصيّة يوسف عليه السّلام في القرآن

هو الشّخصيّة الرّئيسة في قصته أو ما يدعى بشخصيّة البطل، وهو مركز أحداثها سواء أكان مصدر هذه الأحداث، أو مؤثراً فاعلاً فيمن حوله من شخصيات لتباشر الحدث.

---

1) ينظر: مصطفى عليان، بناء الشّخصيّة في القصّة القرآنيّة، ص308.

2) ينظر: مها صديق موسى، التّرابط التّكاملي بين الحبكة والشّخوص، ص174، وعمر باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ص129، وينظر: محمّد رشدي عبيد، قصّة يوسف في القرآن، دراسة أدبية، ص62.

3) البخاري، الصحيح – كتاب أحاديث الأنبياء – باب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، 149/4 ح3382.

4) البخاري، الصحيح – كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا، 140/4 ح3353.

5) ينظر ابن كثير، قصص الأنبياء 359/1.

ومن خلال هذه الأحداث ارتسمت شخصيّة يوسف عليه السّلام في القرآن بسماتها الهامشية الشّكلية، وسماتها الجوهرية في ميولها واتجاهاتها بصورة ماثلة واضحة الأبعاد، فأمّا عن شكله عليه السّلام فقد أخبرنا سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم ببهاء طلعته وجمال قسماته، قال صلّى الله عليه وسلّم في حديث الإسراء: "فمررت بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن" [1].

ويصدق ذلك نبأ القرآن المعجز بانتقاء لفظه المعبر عن ذهول وهتاف النّسوة اللاتي أعتدت لهن امرأة العزيز متكأ، وأمرته بالخروج عليهن كالشمس الطّالعة: **(فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)** يوسف:31.

وأما سمات شخصيته الجوهرية في ميولها ونوازعها واتجاهاتها؛ فهي شخصيّة النّبيّ المؤيد بتوفيق الله، والمواهب اللدنية الكبيرة المتفوقة [2]، والخصائص النّفسية للصفوة المختارة حيث عظمة التّمحيص على قدر الإيمان، والصبر وصدق التّوكل على الله في الابتلاءات، حيث تعرض شخصيّة يوسف – عليه السّلام – عرضاً كاملاً في كل مجالات حياتها، بكل جوانب هذه الحياة، وبكل استجابات هذه الشّخصيّة في هذه الجوانب وفي تلك المجالات. وتعرض أنواع الابتلاءات الّتي تعرضت لها تلك الشّخصيّة الرّئيسية في القصّة وهي ابتلاءات متنوعة في طبيعتها وفي اتجاهاتها.. ابتلاءات الشّدّة وابتلاءات الرّخاء. وابتلاءات الفتنة بالشهوة، والفتنة بالسلطان. وابتلاءات الفتنة بالانفعالات والمشاعر البشرية تجاه شتّى المواقف وشتّى الشّخصيات.. ويخرج العبد الصالح من هذه الابتلاءات والفتن كلها نقياً خالصاً متجرداً في وقفته الأخيرة، متجهاً إلى ربه بذلك الدّعاء المنيب الخاشع: **(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدّنيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)** يوسف: ١٠١ [3].

ومن أبرز مكونات هذه الشّخصيّة ومواهبها العظيمة الّتي أشارت إليها الآيات الكريمة:

-العفة والعصمة من السوء:

قال ابن كثير:".. وهذا كله مع أن يوسف عليه السّلام شابّ بديع الجمال والبهاء، إلا إنّه نبي من سلالة الأنبياء، فعصمه ربه عن الفحشاء، وحماه عن مكر النّساء، فهو سيد السّادة النجباء، السبعة الأتقياء، المذكورين في الصحيحين عن خاتم الأنبياء، في قوله عليه الصّلاة والسّلام من رب الأرض والسّماء: " سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه: إمام عادل ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل معلق قبله بالمسجد إذا خرج منه حتّى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، وشابّ نشأ في عبادة الله، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ". والمقصود إنّها دعته إليها وحرصت على ذلك أشدّ الحرص، فقال: معاذ الله..." [4].

وهي عفة ناصعة لا تقبل جدالاً، سجلها القرآن امتناناً من الله، وشهادة بكمال وخلوص عبادته **(لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنّه مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)** يوسف:24، وإقراراً على لسان خصوم الفتنة ودعاة السوء: **(قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)** يوسف: 51.

-الصدق: و قد مثل في الآية السّابقة شهادة صريحة بصدقه سبقها حكم فصل مشفوع بالقرائن بصدقه من الشاهد من أهلها**(وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنّه مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ**

1) مسلم، صحيح – كتاب الإيمان – باب الإسراء برسول الله صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم إلى السماوات وفرض الصلوات، 99/1 ح162.
2) ينظر: أحمد نوفل، سورة يوسف، دراسة تحليلية ص132.
3) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن،1952/4.
4) قصص الأنبياء320/1.

عَظِيمٌ) يوسف: 27-28، وتلاه خطاب بالصديقية أرفع مراتب الصدق من صاحب السّجن الناجي من القتل طالباً تعبير رؤيا الملك **(يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ)** يوسف:46 " وكان قد صحبه زماناً وجرب صدقه في غير ما شيء كتأويل رؤياه ورؤيا صاحبه "[1].

- **الحكمة والحصافة:**

فقد تبدت شخصيّة يوسف عليه السّلام الحكيم الواعي الحصيف في تعبيره لرؤية الملك **(قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ)** يوسف:47-48، فلم تكن تعبيراً فحسب بل خطة عملية إنتاجية تجمع بين التّخطيط الناجح، والتّنفيذ الفعال في مضاعفة الإنتاج والتّخطيط للتخزين والاستهلاك [2]، وإدارة الأزمات واستثمار الخصب لزمن الجدب، مما يفصح عن شخصيّة قيادية إدارية مرموقة، ومرقاة لتوليه الإدارة الاقتصادية في مصر لكفاءته و تمثل مؤهلاتها فيه، فالضبط والحفظ والأمانة والدقة والعلم والخبرة والإحاطة من جملة مزاياه مما حدا به أن يطلب قوامته عليها **(قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)** يوسف:55.

ومن شواهد حكمته وحصافته أيضاً سعيه إلى الحكم ببراءته عند طلب الملك من السّاقي رؤية يوسف السجين بعد تعبيره الرؤيا، فقد دخل السّجن ظلمًا، وإنه لن يأمن إذا خرج أن يرد إلى السّجن؛ فهو يتحين الفرصة المناسبة لحصحصة الحق والحصول على الضمان والبراءة: **(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ)** يوسف:50.

وكذلك تبدت حنكته في تدبير أمر ضمّ أخيه الشقيق، إذ "جعل حصوله من إخوته على أخيه، ثمنًا لحصولهم على القوت، فإذا جاءوه بأخيه وأراد احتجازه **(فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ)** يوسف: ٧٠ فإذا أنكروا السرقة، وطلبوا تفتيشهم، وأخذ من تظهر الكأس في أمتعته ثمنًا للكأس، تبدت الحصافة **(فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ)** يوسف 76، وتركهم يعودون بدونه؛ ثم يرتدون بأوعيتهم إليه، فيكشف لهم في هذه المرة عن نفسه، بعد أن يلقي عليهم هذا الدرس، وبعد أن يحملهم تلك المشقة! وهذه كلها تصرفات الرجل الواعي الحصيف "[3].

وكذلك برزت نباهته وحصافته في كونه نبيّاً مكلفاً بالصدع بدعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، في مشهد سجله القرآن – في حين طوى مشاهد أخرى لدعوته – لحمله همَّ الدّعوة والرسالة على الرغم من حلكة الظرف وقبوعه في السّجن، مستغلاً إنصات صاحب الحاجة، وتطلُّع نفسه إلى الجواب، فسبق عرضه للرسالة ودعوة التّوحيد والتّعريض بما هم عليه تعبيره لرؤيا الصاحبين. مقدما بين يدي ذلك بمعرفته لطرف من الغيب أطلعه الله عليه في إنبائهم لنوع الطعام: **(قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ)**يوسف: ٣٧ - ٤١.

لطف التّعبير وتهذيب المقال ورهافة الشعور:

1) أبو حيان، البحر المحيط، 260/5.

2) ينظر: أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص138-140.

3) سيد قطب، التّصوير الفني ص208-209.

ويسجل ذلك في الآيات السّابقة في قوله (ملة قوم) مبهماً غير مواجه لهم بعيب ملتهم " وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون: أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم"[1].

وكذلك في قوله (أمّا أحدكما) ولم يقل أنت،" لأن الكلام لأحدهما مفجع فليس من الملائم أن يدعه بالكلام دعا في وجهه مع إنّه لم يخالف الحقيقة بحرف واحد "[2].

وكذلك يظهر اللطف في التّعبير، والرهافة في الشعور في أدبه الكلامي، إذ ينسب عمل إخوته إلى نزعات الشيطان وحدها فلا تلحق أدنى إشارة إلى تلك النفوس الّتي استجابت بكل طواعية لهذه النزغات **(نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)** يوسف:100 [3].

وذلك من أمارات حنانه وعطفه، إلا إنّه ينظم سيولتهما حزم في اتخاذ القرار الحاسم[4]، اقرأ إن شئت: **(قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (78) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ)** يوسف: ٧٨ – ٧٩.

هدوء الطبع ورباطة الجأش وضبط للمشاعر والانفعالات:

وهي ميزة راسخة في شخصه، ومن شواهد ذلك مواجهته للمرأة وسيدها حين قال: **(هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي)** يوسف: ٢٦، فلم تربكه المفاجأة، ولم تفقده شجاعته، وكذلك في مواجهة إخوته أول مرة لم يند عنه انفعال، أو تتأثر نبرته وكأنه لا يعرفهم، وبلغت هذه الميزة شأوها حين افترى الإخوة عليه كذبًا **(قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ)** يوسف: ٧٧ [5].

-الإحسان

وإن بقي في سبر عظيم شخصه عليه السّلام حديث فهو عن الإحسان أليق، وعن حلقاته من صبر وتقوى أوفق إذ الإحسان كمال في شخصه وترق، وفي قصته معه " إبراز سنة الله في عباده الصالحين المحسنين، وأن الله يتولى نجاتهم من المأزق ومكافأتهم بالحسنى على إحسانهم، ويمكن له في الأرض، لأن الأرض لا تخضر إلا بهم، ولا تورق الآمال إلا بهم، ولا تزدهي الحياة ولا الأحياء إلا بهم، ولا تتطور المجتمعات إلا بقيمهم "[6]، فكان عليه السّلام مثلاً للشخصيّة المُحسِنَة فاقتضى المقام بسطاً وإطناباً، وشواهده تحليلاً وبياناً فيما يأتي.

المبحث الثالث: الإحسان في شخصيّة يوسف عليه السّلام

المطلب الأول: حقيقة الإحسان.

الإحسان مصدر أحسن من حسن، والحاء والسين والنون أصل واحد. فالحسن ضد القبح ونقيضه. وحسنت الشيء تحسيناً: زينته [7].

والإحسان: ضدُّ الْإِسَاءة، والمحاسِن من الأعمال ضد المساوئ [1].

1) الزمخشري، الكشاف470/2.
2) أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص 156.
3) ينظر: محمّد رشدي عبيد، قصّة يوسف في القرآن، دراسة أدبية، ص32.
4) ينظر: المرجع نفسه ص66.
5) ينظر: أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص 142-143.
6) المرجع نفسه، ص ج المقدمة.
7) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة 57/2، وابن منظور، لسان العرب 114/13.

ويطلق الإحسان "على وجهين أحدهما الإنعام على الغير يقال أحسن إلى فلان، والثاني إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً... والإحسان أعم من الإنعام."[2] "فالإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره؛ تقول أحسنت إلى نفسي. والإنعام لا يكون إلا لغيره " [3].

قال أبو السعود: " وحقيقة الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق؛ الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي، وقد فسره عليه الصّلاة والسّلام بقوله "أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك "[4].

وهذا القدر من حديث النّبيّ سيد المحسنين صلوات الله وسلامه كما قال النووي: " أصل عظيم من أصول الدّين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين، وبغية السّالكين، وكنز العارفين، ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم الّتي أوتيها صلّى الله عليه وسلّم" [5].

وعني بالإحسان هنا التّرقي في مقامات الإيمان، وهو مقام الإخلاص والمراقبة. نقل صاحب الكواكب الدراري عن الخطابي تعليقاً على التّفريق بين الإسلام والإيمان والإحسان، قال:" اختلاف هذه الأسماء الثلاثة يوهم افتراقاً في أحكامها وليس الأمر كذلك؛ إنما هو اختلاف ترتيب وتفصيل لما يتضمنه اسم الإيمان من قول وفعل وإخلاص. ألا ترى إنّه حين سأله عن الإحسان قال أن تعبد الله كذا، وهو إشارة إلى الإخلاص في العبادة، ولم يكن هذا المعنى خارجاً عن الجوابين الأولين؛ فدل على أن التّفرقة في هذه الأسماء إنما وقعت بمعنى التّفضيل، وعلى سبيل الزيادة في البيان والتّوكيد..."[6].

والإحسان في هذا الحديث متعد بنفسه بمعنى أحسن الشيء أتقنه وكمله، إذ حاصله راجع إلى إحسان العبادة، والإخلاص فيها والخشوع، وفراغ البال حال التّلبس بها، ومراقبة المعبود. وقد يلحظ التّعدي لغيره وإيصال النفع بأن المخلص مثلا محسن بإخلاصه إلى نفسه. [7]

وقد أشار النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في جوابه إلى مقامين ظهر بهما حقيقة الإحسان وحدوده، الأول وهو أرفعهما: مقام المشاهدة (أن تعبد الله كأنك تراه)، فتغلب على العبد مشاهدة الحق بقلبه، حتّى كأنه يراه بعينه، والثاني: مقام المراقبة (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فيستحضر أن الحق مطلع عليه، يرى كل ما يعمل، وهاتان الحالتّان يثمرهُما معرفةُ الله وخشيته [8].

وتورثان بحصول البرهان الإحساني كفّاً للعاصي عن معصيته وكمالاً للمطيع في أداء طاعته [9].

والمتأمل في الاستعمال القرآنيّ للفظ الإحسان ومشتقاته يصل إلى كثير من الحقائق القرآنيّة حول مفهوم الإحسان وحدوده منها:

أن الإحسان منتهى التّقوى وترق وسمو في مقامات العمل فوق الإسلام والإيمان وعلى هذا قوله تعالى: **(وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)** النّساء: ١٢٥، وقوله **(لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا**

1) ينظر: الخليل بن أحمد، العين 143/3، والأزهري، تهذيب اللغة 4 /182.
2) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 119.
3) ابن منظور، لسان العرب 114/13.
4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم 153/5.
5) ابن حجر، فتح الباري 1/ 120.
6) الكرماني، الكواكب الدراري 197/1.
7) ينظر ابن حجر، فتح الباري 1/ 120.
8) ينظر: ابن حجر، فتح الباري 120/1، العيني، عمدة القاري 388/1 الشنقيطي، كوثر المعاني الدراري 348/2.
9) ينظر: عمدة القاري 388/1.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) المائدة:93.

وهو الزيادة والفضل على الواجب قال ابن فارس "والإفضال: الإحسان"[1]. نقرأ ذلك في قوله تعالى:(آ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ)** النحل: ٩٠.

" فالإحسان فوق العدل وذاك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ماله والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد على العدل فتحرى العدل واجب وتحرى الإحسان ندب وتطوع " [2] " فحد الإجزاء داخل في العدل، والتّكميل الزائد على حد الإجزاء داخل في الإحسان "[3].

وكذلك تتأصل **فكرة الزيادة في مقام الإحسان بالزيادة في استحقاق الأجر**، فالجزاء من جنس العمل قال تعالى: **(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ)** يونس: ٢٦. فالحسنَى هِيَ الجَنَّةُ وَالزِّيَادَة: النّظر إِلَى الله جلّ وعزّ. وقال تعالى **(وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)** البقرة: ٥٨، وكذلك في عظم ثواب المحسنين حيث معية الله قال تعالى: **(وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)** العنكبوت: ٦٩، ومحبة الله قال: **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** البقرة: ١٩٥، ورفع الحرج قال تعالى: **(لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** التوبة: ٩١ أي مِنْ لَائِمَةٍ تُنَاطُ بِهِمْ أَوْ عُقُوبَةٍ [4] فقد نصحوا لله ورسوله بالرغم مما ألمّ بهم، وقاموا بدورهم على أكمل وجه: قال الرازي في بيان إحسانهم: "احترزوا عن إلقاء الأراجيف، وعن إثارة الفتن، وسعوا في إيصال الخير إلى المجاهدين الذين سافروا، إما بأن يقوموا بإصلاح مهمات بيوتهم، وإما بأن يسعوا في إيصال الأخبار السّارة من بيوتهم إليهم، فإن جملة هذه الأمور جارية مجرى الإعانة على الجهاد"[5].

أي تجلت فيهم **الإيجابية**، والاستغلال الأمثل للإمكانيات وهي من أهم معالم الشّخصيّة المُحسِنَة. ولذلك طولب المسلم بتحقيق الإحسان قولاً وفعلاً، قال تعالى:(آ**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الّتي هِيَ أَحْسَنُ)** الإسراء: ٥٣، ويقول تعالى:(**لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** التوبة: ١٢١، في خاصة نفسه ومع غيره على قاعدة من الأمانة والصدق والإخلاص والمراقبة والتّقوى والإتقان والمسؤولية الاجتماعية.

فتندرج بذلك كل عبادة شرعيّة وسلوكيّة تحت مصطلح الإحسان الذي يعني انتقاء الأحسن في كل شيء، ويمضي المجتمع المحسن نحو تحقيق الاستخلاف والتّمكين في الأرض.

المطلب الثاني: أركان الإحسان وحلقاته في شخصيّة يوسف عليه السّلام

وسيشرع هنا ببيان حلقات الإحسان بتدبّر آي القرآن، ثم تمثل يوسف عليه السّلام لتلك الحلقات وتوشحه بدثار الإحسان.

فقد عرض القرآن الكريم لأركان الإحسان وحلقاته ألا وهي الصبر والتّقوى وهما صنوان مقترنان في كثير من الآيات كقوله تعالى: **(إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)** آل عمران:120، وقوله: **(بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ)** آل عمران:125، كما اقترنت معاني التّقوى من فعل المأمور والتّوكل والإقبال على الله ودعائه بالصبر من ذلك قوله تعالى:(**وَاسْتَعِينُوا**

1) ابن فارس، مقاييس اللغة 508/4.
2) الراغب، المفردات في غريب القرآن ص 119.
3) ابن عطية، المحرر الوجيز 416/3.
4) أبو حيان، البحر المحيط482/5.
5)الرازي، مفاتيح الغيب 121/16.

بِالصَّبْرِ وَالصّلاة وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) البقرة: 45، وقوله **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصّلاة إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)** البقرة: 153 قال تعالى **(فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى)** طه: ١٣٠.

ثم صرحت كثير من الآيات الكريمات أن مقام الإحسان هو الجمع بين التّقوى بمعانيها المختلفة، والصبر بألوانه المتعددة فالصبر والتّقوى هما جناحا الإحسان، فالإحسان يقين صادق، وإيمان راسخ، ونفس صابرة مطمئنة قال تعالى **(وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدّنيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** آل عمران: ١٤٦ – ١٤٨، وقال:**(وَأَقِمِ الصّلاة طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)** هود: ١١٤ – 115. قال تعالى: **(وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)** النحل: ١٢٧ – ١٢٨، فعقبت هذه الآيات بوسم الإحسان لبيان أن كلّاً من الصبر والتّقوى من باب الإحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون [1].

واقتصر على " إيراد الإحسان في حيز الصلة دون التّقوى للإيذان بأنه من باب الإحسان وأنهما متلازمان وكذا الصبر "[2] في قوله تعالى: **(قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدّنيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)** الزمر: ١٠".

وكذلك أظهر الإحسان لبيان إنّه الإيمان الحق وكمال اليقين بالدليل والإخبات إلى الله بالدّعاء، والقول المرتبط بالعمل تحقيقاً للتقوى، فلا إخلاص ولا علم أرفع من هذه الرتبة[3].

وقال تعالى: **(وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ)** المائدة: ٨٣ – ٨٥، وقال **(وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)** الأعراف: ٥٦، بل هو عزم الأمور بجامع الاقتران بين الصبر والتّقوى أي أشد الأمور وأحسنها[4]، محكها ومتقنها والحميد العاقبة منها[5]، وصواب تدبيرها [6] قال تعالى: **(لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)** آل عمران: ١٨٦.

1) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 153/5.

) 2المرجع نفسه، 246/7.

3) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط 348/4.

4) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز 551/1، القرطبي، الجامع304/4.

5) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز 41/5.

6) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب 455/9.

وبجامع كون العفو عن المقدرة والصبر والتّجاوز عن المسيء من عزم الأمور[1] كما هو من الإحسان كما سنتبينه في صور الإحسان، **(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)** الشورى: ٤٢ – ٤٣.

وقد نطق القرآن العظيم بتحقيق يوسف عليه وعلى نبينا الصّلاة والسّلام لحلقات الإحسان فكمل مراتب التّقوى كما كمل مراتب الصبر فاستحق وصف الإحسان الجامع بينهما إذ" الدخول في مسلك المحسنين متوقف على التّقوى والصبر"[2]، وذلك على لسان يوسف عليه السّلام في إجابته لإخوته تأكيداً لظهور هويته أمامهم بعد ظهور أمارة ذلك، قال تعالى: **(قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّه مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)** يوسف: ٨٩ – ٩٠.

أي لا يضيع أجرهم، فأظهر المحسنين لبيان أن المحسن هو من يتق ويصبر [3] "وللتعميم في الحكم ليكون كالتّذييل، ويدخل في عمومه هو وأخوه" [4].

ولا شك أن الأنبياء أكمل الخلق إيماناً، وأرفعهم تقوى، بل التّقوى وصية الأنبياء لأقوامهم، وقد نقلت قصّة يوسف عليه السّلام شواهد تقواه وحسن سيرته وعظم منتهاها، وإن لم تفصل في مباديها، من ذلك:

– **الرؤيا الصادقة الّتي أراها الله ليوسف في صباه (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)** يوسف: ٤.

إذ كانت دليلاً على صدقه وتقواه، وأمارة على أن الله تعالى يبلغه مبلغاً من الحكمة، ويصطفيه للنبوة والرسالة والملك، فكما أكرم التّقي المخلص بالرؤيا سيجتبيه بتحقيقها، ويعلمه من تعبير الرؤيا، وبيان ما تؤول إليه الأحاديث الصادقة، كالكتب السماوية ونحوها، وينعم عليه وعلى آل يعقوب بشرف الدارين شأناً رفيعاً ومجداً بديعاً، كما فعل بآبائه عليهم السّلام[5] **(وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)** يوسف: 6.

–**استقامته عليه السّلام وهو قابض على دينه في بيت العزيز الفرعوني الكافر** الذي تفرس فيه، وعلم مخايل نباهته وسيما صلاحه، فقال لامرأته:**(أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا)** يوسف: ٢١[6]، والمعنى: اجعلي منزله عندك كريماً حسناً مرضياً فأمرها بإكرام مثواه دون إكرام نفسه، مما يدل على إنّه كان ينظر إليه على سبيل الإجلال والتّعظيم، ولما أمرها بإكرام مثواه

1) ينظر: الطبري، جامع البيان 551/21.

2) محمّد موسى نصر، سليم الهلالي، إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف عليه السّلام 797/1.

3) ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة 63/3، الواحدي، التّفسير البسيط 390/5، تفسير الراغب الأصفهاني 678/2، الزمخشري، الكشاف، 502/2، الرازي، مفاتيح الغيب 505/18، أبو السعود، إرشاد العقل السليم 304/4، الألوسي، روح المعاني 47/7.

4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير 49/13.

5) ينظر: القرطبي، الجامع 128/9–129، أبو حيان، البحر المحيط 239/6، السعدي، تيسير الكريم الرّحمن ص393.

6) ينظر: الطبري، جامع البيان 19/15، وهو أثر أخرجه بسنده عن ابن مسعود قال:" أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرّس في يوسف فقال لامرأته (أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا)، وأبو بكر حين تفرّس في عمر، والتّي قالتْ: (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ) ". وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، المستدرك،96/3ح4509.

علل ذلك بأن قال: عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً أي يقوم بإصلاح مهماتنا، أو نتخذه ولداً، قيل لأنه كان لا يولد له ولد، وكان حصوراً [1].

–موقفه من مراودة امرأة العزيز:

فأضحت تقواه ومراقبته لله جبلاً أشماً وحصناً حصيناً أمام مراودة امرأة العزيز، وشهادة له بالبراءة من العزيز **(يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ)** يوسف: ٢٩، ومن امرأة العزيز نفسها وصحبها في المراودة اعترافاً بتقواه لما حصحص الحق **(قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)** يوسف: ٥١، فعلا العبد العبراني بالبرهان الإحساني من صدق الإيمان وكمال الإخلاص، وهبط بالسيدة المالكة من عزة سيادتها وسلطانها، معتزاً عليها بالديانة والأمانة، والتّرفع عن الخيانة [2].

–دعوته للتوحيد في محبسه:

وكذلك أسفرت تقوى الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب عليه السّلام النّبيّ حين صدح وهو في محبسه بدعوة التّوحيد وعبادة الله الإله الحق الذي له الملك والأمر والحكم، ونبذ عبادة ما دونه ممن سموها آلهة كما فعل يوسف عليه السّلام إذ كان محلّاً لهداية لربه إذ ترك ملة من نشأ فيهم في فلسطين أومن عاش بينهم من المصريين، وعبد الله وحده قال تعالى: **(إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ ما كانَ لَنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنا وَعَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (38) يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (39) ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)** يوسف: ٣٧ – ٤٠.

–ثناؤه على الله في ختام قصته:

وكذلك بدت تقوى يوسف عليه السّلام، وإقباله على الله شكراً وثناءً في ذلك المقام حيث لم تلهه لحظات السعادة الغامرة بنصره والتّمكين، وتمام النعمة بالاجتماع بأبيه وإخوته بعد الفرقة من التّوجه إلى صاحب المنن والفضل والتّضرع إلى الله أن يتوفاه مسلماً ويلحقه بالصالحين من الأنبياء والمرسلين. **(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)** يوسف: ١٠١.

وأما عن حلقة الإحسان الثانية وهي الصبر فهو سنة الأنبياء وطريق الأتقياء ومراقي المحسنين، وقد بدا التّلويح بالصبر من بداية قصّة يوسف عليه السّلام إذ ذكر بآبائه من الأنبياء، و ليس في ذلك دلالة على نبوته فحسب، بل " إشارة في الوقت نفسه إلى المحن والابتلاءات الّتي سيمر بها قبل أن ينال المكانة الرفيعة والدرجات العلى الّتي قدرها الله سبحانه وتعالى له " [3] **(وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)** يوسف: ٦.

1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب 435/18.

2) ينظر: محمّد رشيد رضا، تفسير المنار230/12،229.

3) مها موسى، التّرابط التّكاملي بين الحبكة والشّخوص في قصّة يوسف ص212.

قال الإمام النووي:" قال العلماء: والحكمة في كون الأنبياء أشد بلاء ثم الأمثل فالأمثل؛ أنهم مخصوصون بكمال الصبر وصحة الاحتساب، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى؛ ليتم لهم الخير، ويضاعف لهم الأجر، ويظهر صبرهم ورضاهم "[1].

وقد عانى الكريم يوسف عليه السّلام فنون الآلام والبلايا، وكملت مراتب صبره قال السعدي في فوائده المستنبطة من قصّة يوسف عليه السّلام: "ومنها تكميل يوسف صلوات الله وسلامه عليه لمراتب الصبر:

-الصبر الاضطراري: **وهو صبره على أذية إخوته**، وما ترتب عليها من بعده عن أبويه، وصبره في السّجن بضع سنين.

-والصبر الاختياري: **صبره على مراودة سيدته امرأة العزيز** مع وجود الدواعي القوية من جمالها وعلو منصبها وكونها هي الّتي راودته عن نفسه، وغلقت الأبواب، وهو في غاية ريعان الشباب، وليس عنده من قرابته ومعارفه الأصليين أحد ومع هذه الأمور، ومع قوّة الشهوة، منعه الإيمان الصادق والإخلاص الكامل من مواقعة المحذور "[2].

وعلى الرغم من هذه المعاناة الأليمة الّتي استهلكت سنوات ناضرة من عمره، وحيداً فريداً في وحشة البئر، مصدوماً بأقرب الناس إليه بعد أبيه وهم إخوته ومسترقاً مباعاً بثمن بخس، ومجاهداً ضد الفتنة في القصر، ومحروماً من بهجة الحياة ونعيمها في السّجن، وبعيداً في ذلك كله عن أبيه وأحبابه، معانياً مرّ فراقهم إلا إنّه قابلها "بالصبر الجميل، وبرد حرارة نارها بأنسام الرؤية النافذة لحكمة الله وثوابه والطّافه، المتوجهة صوب المتفائلين بها من أفق الغيب الرحيب" [3] من ذلك قوله عليه السّلام: **(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)** يوسف: ٣٣، وأورث إيمانه الكامل ويقينه وطمأنينته بالله وذكره ثباتاً في جميع فصول تلك المعاناة.

ذلكم أن الصبر لا يتم لصاحبه إلا بالاستعانة بالله والتّوكل عليه وحده يتبرأ من حوله وقوته إلى قوّة المقتدر، قال يوسف عليه السّلام: **(وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)** يوسف:٣٣ [4].

ولا يناقض توكله عليه السّلام وصبره قوله للذي ظن إنّه ناج منهما **(اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)** يوسف: ٤٢، بل كان من أثبت الناس ولم يكن حين قوله " متبرماً من السّجن ولا ضجراً من هذه المحنة، ولا يوجد دليل على ذلك، ولو كان يتعجل الخروج من السّجن لما رفض الخروج حين استدعاه الملك لمجلسه، بل كان المناسب أن يبادر الامتثال لأمر الملك، ويسرع بمغادرة السّجن "[5].

وإنما معنى قوله: اذكرني عند " سيدك الملك، بما رأيت وسمعت وعلمت من أمري عسى أن ينصفني ممن ظلموني ويخرجني من السّجن، وهذا الذكر يشمل دعوته إياهم إلى التّوحيد، وتأويله للرؤيا، وإنباءهم بكل ما يأتيهم من طعام وغيره قبل إتيانه، وآخره فتواه الصريحة فهي جديرة بأن تذكره به كلما قدم للملك شرابه" [6].

فكانت وصيته عليه السّلام للساقي ربطاً للأسباب بالمسبب؛ غير قادحة في صبره وتوكله؛ غير موجبة لعقاب ما كاستمرار بقائه في السّجن جاء في البحر المحيط:" وهذا من يوسف على سبيل الاستعانة والتّعاون في تفريج كربه، وجعله بإذن الله وتقديره سبباً للخلاص"[7].

---

1) المنهاج، 129/16.
2) فوائد مستنبطة من قصّة يوسف عليه السّلام ص 26.
3) محمّد رشدي عبيد، قصّة يوسف في القرآن، دراسة أدبية ص 97.
4) ينظر: السعدي، فوائد مستنبطة من قصّة يوسف عليه السّلام ص 48-49.
5) عليش البني، موسوعة تفسير سورة يوسف ص 915.
6) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار 258/12، وينظر: القرطبي، الجامع 194/9.
7) أبو حيان، البحر المحيط 280/6، وينظر: محمّد رشيد رضا، تفسير المنار 259/12.

وجرى المقدور بأن ينسى السّاقي ذكر يوسف عليه السّلام؛ فيجزل أجره، ويخلص صبره بطول مقامه في السّجن.

وقد تحدث المفسرون في تخصيص التّقوى والصبر في قول يوسف عليه السّلام: **(قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنّه مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)** يوسف: ٩٠ بأحوال تتفق ونوازل يوسف عليه السّلام وتظهر بعض جوانبه كما تقدم.

قال ابن الجوزي :"وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: من يتق الزنى ويصبر على البلاء. والثاني: من يتّق الزّنى ويصبر على العزوبة. والثالث: من يتق الله ويصبر على المصائب، رويت هذه الأقوال عن ابن عباس. والرابع: من يتق معصية الله ويصبر على السّجن، قاله مجاهد" [1] . وزاد العز بن عبد السّلام في تفسيره من يتق الزنى ويصبر على الغربة [2].

والأولى التّعميم في متعلق الصبر والتّقوى قال ابن عطية –بعد أن ذكر قولين مما سبق–:" ومقصد اللفظ إنما هو العموم في العظائم، وإنما قال هذان ما خصصا، لأنها كانت من نوازله، ولو فرضنا نزول غيرها به لاتقى وصبر"[3]، وتابعه أبو حيان حيث قال: "والأحسن أن لا تخص التّقوى بحالة ولا الصبر" [4]. بل تعمما قال أبو السعود:" (إنّه مَن يَتَّقِ) أي يفعل التّقوى في جميع أحوالِه أو يقِ نفسه عما يوجب سخطَ الله تعالى وعذابه، (وَيِصْبِرْ) على المحن أو على مشقة الطّاعاتِ أو عن المعاصي الّتي تستلذها النّفس"[5] ولا يرد التّعميم بأن قوله (من يتق ويصبر) كان تعريضا بإخوته فيخصص العام بما يقتضيه المقام بإثبات ما لم يفعلوه فلم يخافوا عقاب الله وسوء المعصية، ولم يصبروا على طاعة الله تعالى وطاعة أبيهم وعلى المعصية، [6] وذلك أن التّعريض متحقق مع التّعميم تحققه مع التّخصيص [7]، بل هي موعظة عامة من يوسف لإخوته في الالتّزام بجميع مقامات التّقوى والصبر وصولا إلى الإحسان، قال ابن عاشور: "أراد يوسف عليه السّلام تعليمهم وسائل التّعرض إلى نعم الله تعالى وحثهم على التّقوى والتّخلق بالصبر... وهذا من أفانين الخطابة أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة، وهي فرصة تأثر السّامع وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته. ثم إن هذا في مقام التّحدث بالنعمة وإظهار الموعظة سائغ للأنبياء لأنه من التّبليغ..." [8].

وبتأمل عواقب هذه المحن ومآلاتها نجد إنّها كانت طريقاً للمكرمات، ووسيلة إلى المعالي فكان بعد يوسف عن أبيه، وإقامته في بيت العزيز من مؤهلات نجاحه في الملك والحكم فيما بعد، وكذلك مكوثه في السّجن، قال البقاعي: " ولما ذكر السّجن، وكان سبباً ظاهراً في الإهانة، شرع سبحانه يقص من أمره فيه ما حاصله إنّه سبب الكرامة "[9]. ونقل البقاعي عن الرازي في كتاب اللوامع قوله: "وعلى الجملة فكل أحوال يوسف عليه الصّلاة والسّلام لطف في عنف، ونعمة في طي بلية ونقمة، ويسر في عسر، ورجاء

1) ابن الجوزي، زاد المسير 469/2، وينظر: الواحدي، الوسيط 631/2، والبغوي، معالم التّنزيل 512/2، الزمخشري، الكشاف، 502/2 الخازن، لباب التّأويل553/2، ابن عادل الحنبلي، اللباب 203/11.

2) العز بن عبد السّلام، التّفسير 137/2.

3) المحرر الوجيز 277/3.

4) البحر المحيط 320/6.

5) إرشاد العقل السليم304/4، وينظر: السمعاني، التّفسير 62/3، والقرطبي، الجامع 256/9، والبيضاوي، أنوار التّنزيل 175/3، والألوسي، روح المعاني 47/7.

6) ينظر القول بالتّخصيص للتعريض: حاشية الطيبي على الكشاف 426/8.

7) ينظر: الألوسي، روح المعاني 48/7.

8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير 49/13.

9) البقاعي، نظم الدرر37/4.

في يأس، وخلاص بعد لات مناص، وسائق القدر ربما يسوق القدر إلى المقدور بعنف، وربما يسوقه بلطف، والقهر والعنف أحمد عاقبة وأقل تبعة " [1]. وهذا ما سيجري بسطه في الحديث عن ثمرات الإحسان بإذن الله.

المطلب الثالث: صور الإحسان ومجالاته في شخصيّة يوسف عليه السّلام.

يتسع مفهوم الإحسان الذي يعني انتقاء الأحسن في كل شيء ليشمل بخيريته كل عبادة شرعيّة وسلوكيّة يقوم بها العبد على خير وجه حيث الإتقان للعمل، وتشوف النّفس للطاعة بكل محبة وشوق باستشعار مراقبة الله تحقيقاً للاستخلاف والتّمكين في الأرض.

انفتاح على المجتمع بمن فيه بمثالية العطاء، وإتقان العون: قال تعالى **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ً** البقرة: ٨٣. وقال صلّى الله عليه وسلّم: **((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإحسان عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ))** [2].

وقد تمثلت صور الإحسان ومجالاته في شخصيّة يوسف عليه السّلام حتّى أضحى علماً على الإحسان، وشهد له ربه الأعلى وخلقُه به.

أوّلاً: الإحسان في العبادات (إلى النّفس)

وهي إحدى صور الإحسان ومعانيه حيث يتعدى الإحسان بنفسه بمعنى الإتقان والكمال، ولغيره بمعنى إيصال النفع، وحاصل إحسان العبادة وهي كمال التّقوى وترقي الإيمان على الأول بمعنى الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التّلبس بها ومراقبة المعبود، وقد يلحظ الثاني وهو التّعدي لغيره، وإيصال النفع بأن المخلص مثلاً محسن بإخلاصه إلى نفسه [3] كما مر في حقيقة الإحسان.

وقد تلمسنا بعضاً من حدودها في أركان الإحسان في شخصيّة يوسف عليه السّلام، فقد لزم الاستقامة والتّقوى ومكارم الأخلاق.

وتزكية النّفس بطاعة الله في بيت العزيز حتّى صار من المحسنين وكان برهاناً له حفظاً من الفتنة. ولزمها في السّجن فكانت من أسباب شهادة قاطنيه له بالإحسان الذي كان أحد دعائم دعوته في السّجن حيث دعا إلى الله بأمرين:

بحاله وكمال إحسانه، وما عليه من الوصف الجميل الذي أوصله إلى هذه الحال الرفيعة؛ فنسب ما به من علم وفضل إلى ذي الكمال والجلال، يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة، لا بكهانة ولا تنجيم، وجعله من ثمرات نبذه لملة الكفر واتباعه لملة آبائه من الأنبياء بقوله: **(ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**..... الآيات) يوسف: ٣٧ – ٣٨.

وبالبرهان الحقيقي الفطري بالمقارنة بين المتوحد بالكمال من كل وجه وبالقهر للعالم العلوي والسفلي المستحق للعبادة وأرباب ادعوها ألوهيتها بأسماء أطلقوها لا معان لها [4]. قال: **(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**.... الآيات) يوسف: ٣٩ – ٤٠.

ثانياً: الإحسان في المعاملات (إلى الخلق)

إحسانه إلى من في بيت العزيز: لا ريب أن فراسة من العزيز صدقت، و نبوءة تحققت في يوسف عليه السّلام في رجاء نفعه في شؤونه الخاصة والعامة، أو اتخاذه ولداً تقرّ به الأعين، حيث إنّه لم يكن العزيز " يتفرس إلا مظاهر الكمالات الخلقية والخلقية

1) المرجع نفسه 37/4.

2) رواه مسلم في صحيحه باب الأمر بإحسان الذبح والقتل 1458/3 ح 1955.

3) ينظر: فتح الباري، ابن حجر 120/1.

4) ينظر: النحاس، معاني القرآن، 427/3، السعدي، الفوائد المستنبطة من سورة يوسف، ص14،15.

لأنوار النبوة المتدفقة من شخصيّة يوسف عليه السّلام "[1]، فغدا نموذجاً في الإحسان؛ في كمالاته وفضائله، فعمل بجد وإخلاص وأمانة يعين العزيز في حمل أعبائه ومسؤوليته، يحسن المكافأة لجميل من اجتهد الغاية في رعايته، ودعا زوجه إلى إكرامه أيّما إكرام، يخفف عنه وحشة في الجب، وظلماً من الأحباب، نطق به النظم الكريم عمقاً في التّعبير، قال: (**أَكْرِمِي مَثْوَاهُ**) قال الشهاب: " وإكرام مثواه كناية عن إكرامه على أبلغ وجه، وأتمه لأن من أكرم المحل بإحسان الأسرّة واتخاذ الفراش، ونحوه فقد أكرم ضيفه بسائر ما يكرم به "[2] ولسان حاله عليه السّلام وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

وهذه الخدمة من الكريم عليه السّلام، وإن سكت القرآن عن تفاصيلها إلا إنّه ذكر ثمارها وما انبنى عليها؛ في تمكين يوسف في الأرض؛ إذ كانت إقامة يوسف عليه السّلام، والخبرة الّتي اكتسبها بنفع ومساعدة الآخرين أول أسباب هذا التّمكين، قال تعالى: **(وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** يوسف: ٢١، وقد يعد من إحسانه هنا حفظ يوسف عليه السّلام غيبة العزيز وعدم خيانته؛ رداً لجميل إكرامه ورعايته ليوسف على قول من رأى أن العزيز هو المقصود بقوله ربي [3] في قوله تعالى على لسان يوسف **(وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّه رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّه لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)** يوسف:٢٣.

ب) الإحسان إلى مَن في السّجن: هتفت أركان السّجن على لسان صاحبي السّجن شهادة صريحة مؤكدة بكونه عليه السّلام من الراسخين في إحسان ظاهر رأي العين غير محتاج إلى تتبع أو ترو في حكم فكل أفعاله عليه السّلام في مقام الإحسان. قال تعالى **(وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)**. يوسف: ٣٦.

وقد اختلف المفسرون في المقصود بالإحسان اختلافاً أفصح في مجمله عن مظاهر إحسانه عليه السّلام، وصوره الوضاءة.

فاختلفوا أهو إحسان متحقق أم مشروط بإجابة سؤالهم، وهذا الواقع المتحقق اختلفوا في نوعه وصورته: هل هو إحسان في عبادته أم في علمه أم في أحد مظاهر علمه وهو تعبيره للرؤى أم إحساناً اجتماعياً بحسن عشرته لأهل السّجن، وذلك كما يأتي:

القول الأول: حسن عشرته عليه السّلام لأهل السّجن وهو إنّه كان يعود مريضهم، ويعزي حزينهم، وإذا احتاج منهم إنسان جَمَع له. [4] أي من المحسنين في حق الشركاء والأصحاب [5]، أي كما أحسنت لنا بمثل هذه الأعمال فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا إن كنت تعرفه [6]، أو فأحسن إلينا بكشف غمتنا إن كنت قادراً على ذلك [7].

1) أحمد عز الدّين عبد الله خلف، يوسف بن يعقوب عليهما السّلام، ص66

2) حاشيته على البيضاوي 164/5.

3) ينظر: الطبري، جامع البيان، 32/16.

4) ينظر: الطبري، جامع البيان، 98/16، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 110/3، السمرقندي، بحر العلوم، 192/2، الماوردي، النكت والعيون 36/3، ابن الجوزي، زاد المسير، 439/2.

5) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 454/18.

6) ينظر: البيضاوي، أنوار التّنزيل 163/3.

7) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم 276/4

ومما يستأنس به على ذلك المعنى ما أخرجه ابن المبارك بسنده عن سلمة بن نبيط قال: كنا بخراسان جلوسا عند الضحاك بن مزاحم، فأتاه رجل فسأله عن قول الله تبارك وتعالى: **{إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}** [يوسف: 36]، ما كان إحسان يوسف؟ قال: إذا كان ضاق على الرجل مكانه وسع له، وإن احتاج جمع له، أو سأل له، وإن مرض قام عليه [1].

القول الثاني: وهو قريب من سابقه إلا إنّه يجمع بين إحسانه عليه السّلام إلى نفسه بكمال العبادة ولزوم الطّاعة، فقيل: إنّه كان شديد المواظبة على الطّاعات من الصوم والصّلاة، ومن كان من المحسنين في أمر الدّين فإنه يوثق بما يقوله في تعبير الرؤيا، وفي سائر الأمور [2] وبين حسن العشرة لمن في السّجن.

جاء في تفسير مقاتل بن سليمان: "كان إحسانه في السّجن أنه: كان يعود مرضاهم، ويداويهم، ويعزي مكروبهم، ورآه متعبداً لربه فهذا إحسانه"[3].

القول الثالث: من المحسنين في العلم قال الفراء: "من العالِمينَ قد أحسنْتَ الْعِلْمَ"[4] وذلك لأنهما سمعاه يذكر للناس ما علما به إنّه عالم [5]. أو رأيا سنة ما علما به إنّه عالم [6].

القول الرابع: من المحسنين في علم تعبير الرؤى، أي ممن يُحسِنُ التّأويل ذكره الزجاج [7] وهو تخصيص للقول السّابق.

قيل " رأياه يقصّ عليه بعض أهل السّجن رؤياه فيؤوّلها له، فقالا له ذلك."[8]، وقيل "لأنه متى عبر لم يخط كما قال وعلمتني من تأويل الأحاديث.." [9].

القول الخامس: وهو القول الذي رتب الوصف بالإحسان على إجابة طلبهم مشروطاً به معناه: أي من المحسنين، إذا نبأتنا بتأويل رؤيانا هذه. وهو قول ابن إسحاق. أخرجه الطبري وابن أبي حاتم عنه، قال: استفتياه في رؤياهما، وقالا له: **(نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين)**، إن فعلت[10] وقد رجح الإمام الطبري قول الضحاك وقتادة وبين وجه اختياره حيث قال: "فإن قال قائل: وما وجهُ الكلام إن كان الأمر إذن كما قلت، وقد علمت أن مسالتّهما يوسف أن ينبئهما بتأويل رؤياهما، ليست من الخبَر عن صفته بأنه يعود المريض ويقوم عليه، ويحسن إلى من احتاج في شيء، وإنما يقال للرجل: "نبئنا بتأويل هذا فإنك عالم"، وهذا من المواضع الّتي تحسن بالوصف بالعلم، لا بغيره؟ قيل: إن وجه ذلك أنهما قالا له: نبئنا بتأويل رؤيانا محسنًا إلينا في إخبارك إيانا بذلك، كما نراك تحسن في سائر أفعالك "[11]0

---

1) الزهد ص 413 ح1170، وينظر: الطبري، جامع البيان، 98/16، ابن أبي حاتم، التّفسير 2143/7، والنحاس، معاني القرآن 426/3، والقرطبي، الجامع 190/9.

2) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب 454/18.

3)مقاتل بن سليمان، التّفسير 333/2. وهو قول قتادة كما أخرج الطبري وابن أبي حاتم عن قتادة الطبري، جامع البيان، 99/16، ابن أبي حاتم، التّفسير 143/7.

4) معاني القرآن 45/2، وينظر: السمرقندي، بحر العلوم 192/2، الماوردي، النكت والعيون 37/3، والبغوي، معالم التّنزيل 241/4.

5) ينظر: الزمخشري، الكشاف 469/2، وابن عطية، المحرر الوجيز 244/3.

6) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط 254/5، ابن الجوزي، زاد المسير 439/2، القرطبي، الجامع 190/9.

7) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه 110/3، وينظر: النحاس، معاني القرآن 426/3، والبغوي، معالم التّنزيل 241/4، وابن الجوزي، زاد المسير 439/2.

8) الزمخشري، الكشاف 469/2، وينظر: البيضاوي، أنوار التّنزيل 163/3، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم 276/4.

9) الرازي، مفاتيح الغيب 454/18.

10) الطبري، جامع البيان، 100/16، وابن أبي حاتم، تفسير 2143/7، وينظر: الماوردي، النكت والعيون 37/3، وابن الجوزي، زاد المسير 439/2، القرطبي، الجامع 190/9.

)11الطبري، جامع البيان، 100/16

والأولى أن ينتظم إحسانه هذه المعاني جميعها فيكون المعنى كما قال الرازي:" إنا نراك تؤثر الإحسان وتأتي بمكارم الأخلاق وجميع الأفعال الحميدة" [1]. أي إحسانه في عبادته، ولزومه لطاعة الله، وإحسانه لعموم علمه من لدن ربه، ومنه علم تعبير الرؤيا، وكامل إحسانه إلى أهل السّجن أو لغيرهم؛ إذ الاقتصار على أحد هذه المعاني تخصيص من غير دليل هذا من جهة، ومن جهة أخرى تنوع هذه الجوانب يصدقها التّعبير القرآنيّ في لفظة (نراك) مادة وصيغة؛ فالرؤية كناية عن ظهور الوصف وتحققه للعيان فلا حاجة إلى التّتبع والطلب، وصيغة الفعل المضارع تدل على تجدد حدوث الفعل وحصوله في الحال والاستقبال، وفي هذا رد على قول ابن إسحاق الذي جعلها للاستقبال فحسب، وكذلك تنطق بعموم المعنى شهادات الإحسان المطلق المتتالية له عليه السّلام في القرآن من ربه جل وعز، ومن إخوته، ومنه عليه السّلام متحدّثاً بنعمة ربه.

فيظهر أن العلاقة قد توطدت بين يوسف عليه السّلام وأهل السّجن فعرف الفَتيان شيئاً من جميل مناقبه وطهارة نفسه، فتوسلوا بذلك إلى استجلاب المزيد من إحسانه.

وقد عظم إحسانه وتسامى فلم يقتصر على ما مضى وعلى إنبائهم الرؤيا، بل جعل ذلك وسيلة إلى الإحسان الأعظم إليهم بتحقق إيمانهم ودعوتهم إلى التّوحيد ونجاتهم من النار بعد أن قدم بين يدي ذلك شيئا من علم الغيب الذي آتاه إياه عالم الغيب والشهادة.

قال أبو السعود: "لأنهما لما نعتاه عليه السّلام بالانتظام في سمط المحسنين، وأنهما قد علما ذلك حيث قالا: إنا نراك من المحسنين توسم عليه السّلام فيهما خيرا وتوجها إلى قبول الحق فأراد أن يخرج آثر ذي أثير عما في عهدته من دعوة الخلق إلى الحق، فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علماً بعظم شأنه وثقة بأمره، ووقوفاً على طبقته في بدائع العلوم؛ توسلاً بذلك إلى تحقيق ما يتوخاه، وقد تخلص إليها من كلامهما فكأنه قال: تأويل ما قصصتماه علي في طرف التّمام حيث رأيتما مثاله في المنام، وإني أبين لكما كل جليل ودقيق من الأمور المستقبلة وإن لم يكن هناك مقدمة إلمام حتّى إن الطعام الموظف الذي يأتيكما كل يوم أبينه قبل إتيانه، ثم أخبرهما بأن عمله ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين، بل هو فضل إلهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة "[2].

ج) **إحسانه إلى الملك ورعيته** بتأويله الرؤيا للملك مقرونة بالخطة الاقتصادية المنقذة من كارثة المجاعة:

لقي عليه السّلام ما لقيه من خيانة الصديق، ومكر القريب، وما دبر له من زور وما لفق من بهتان، حتّى أودع السّجن. ولما أراد الله تعالى أن يخرج يوسف من السّجن، أرى الله الملك رؤيا عجيبة استولى عليه الجزع مذ رآها، واستبدت به اللهفة إلى من يعطيه حقيقة خبرها ليكون تأويلها على يد يوسف، فيظهر من فضله، ويبين من علمه ما يكون له رفعة في الدارين **(وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46)** يوسف: 43 – 46.

وتبدت لطف أقدار الله ورفعة مقام النبوة وإيجابية الإحسان وسمو صورته بمقابلة الإساءة بالإحسان فلم يتأخر عليه السّلام عن تعبير رؤيا الملك وبادر بذلك لما سأله الفتى الناجي من غير تعنيف له في نسيانه ما وصاه به، ولم يرتب مقابلاً كاشتراطه للخروج من السّجن مثلاً ولو اتخذ عليه السّلام من الموقف سبيلاً للمساومة على نيل حقوقه لكان محقا، ولم يبادر فقط بالتّعبير، بل وقرنه بالخطة الّتي يجب على البلاد اتباعها**(قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47)**

1) الرازي، مفاتيح الغيب 454/18.

2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم 277/4.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49)) يوسف: ٤٧ - ٤٩، ليتعدى –إحسانه إلى الأمة لتنجو من عاصفة الهلاك الّتي اقترب هبوبها حاملة الخراب والدمار بين طياتها ليكون له عليه السّلام في عنق المصريين منة لإنقاذهم من الهلاك وقد انشرح صدر الملك لهذا التّأويل العجيب الذي كشف له عن رجل لم يسمع بمثله، وعلم شأنه وشأوه[1].

قال السعدي:" وهذا أيضاً من لطف الله بيوسف عليه السّلام. فإنه لو عبرها ابتداء – قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها –لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتما لها غاية، فعبرها يوسف– وقعت عندهم موقعا عظيماً... فسبحان من خفيت الطّافه، ودقّت في إيصاله البر والإحسان، إلى خواص أصفيائه وأوليائه"[2].

وكانت خطته الاقتصادية في غاية الإحكام والإتقان، وهذا من مظاهر الإحسان؛ حيث دعاهم إلى استغلال سني الحصب السبع المتتاليات وادخار القمح في سنبله إبقاءً له، وحفظاً له من الفساد، إلا المقدار الذي يأكلونه، وليكن قليلاً مقتصداً؛ ليستطيعوا مواجهة سنين الجدب والقحط المتتالية، ثم بشرهم بعدها بعام عطاء وخصب فيه ينزل المطر ويعم الخير؛ مما مهد له للحظوة عند الملك، وهيأ له للتمكين في الأرض كما سيظهر في حديثنا عن ثمرات الإحسان.

د) **إحسانه عند توليه خزائن مصر إلى الرعية** بإقامة ميزان العدل والحق وتحقيق الرّخاء للمتضررين من المجاعة، ومنهم إخوته.

لما علم يوسف عليه السّلام إنّه للأمانة أهلاً ولشروطها وحقوقها قائماً، وأنها طريقاً للإحسان للخلق سأل الملك أن يوليه أمر طعام بلده وخراجها، والقيام بأسباب بلده ففعل ذلك [3] **(قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)** يوسف: ٥٥.

قال ابن عطية: "فهم يوسف عليه السّلام من الملك إنّه عزم على تصريفه والاستعانة بنظره في الملك، فألقى يده في الفصل الذي تمكنه فيه المعدلة ويترتب له الإحسان إلى من يجب، ووضع الحق على أهله، وعند أهله" [4].

وقال السعدي في حديثه عن كمالاته عليه السّلام "وكمل مراتب العدل والإحسان للرعية حين تولى خزائن البلاد المصرية "[5].

و استغل عليه السّلام نفوذ منصبه في تقديم المساعدات للتخفيف من معاناة المتضررين من المجاعة ليس فقط في بلاده، بل ولكل اللاجئين من أهل البلاد المجاورة طلباً للعون كما ظهر في موقفه من إخوته القادمين من كنعان بحثاً عن الطعام لقومهم [6].

قال تعالى:**(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)** يوسف:88.

وقد نطق إخوته بشهادة الإحسان للعزيز يوسف عليه السّلام وبوصفه اللازم وإن لم يعرفوه، وذلك في مقام طلبهم من يوسف عليه السّلام أن يأخذ أحدهم بدلاً من أخيهم شقيق يوسف شفقة بوالدهم يعقوب عليه السّلام الشيخ الكبير، **(قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)** يوسف: ٧٨.

---

1) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرّحمن ص 399، أحمد عز الدّين عبد الله خلف، يوسف بن يعقوب عليهما السّلام ص352.

2) السعدي، تيسير الكريم الرّحمن 399.

3) ينظر: الطبري، جامع البيان، 149/16.

4) المحرر الوجيز 255/3.

5) الفوائد المستنبطة من سورة يوسف ص 36.

6) ينظر: التّرابط بين الحبكة والشّخوص ص222.

وكان يوسف عليه السّلام قد دبر أمر التّحاق أخيه بطلب جلبه معهم حتّى يزداد كيلهم؛ بل شرطاً في مكيلهم قال تعالى: **(وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ(59) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ)** يوسف: ٥٩ – ٦٠، ثم باتهامه بسرقة الصواع وكان في شريعتهم استرقاق السّارق، قال تعالى **(فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ)** يوسف:70، إلى قوله: **(فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ)** يوسف: ٧٦.

واختلف المفسرون في المقصود بالإحسان في شهادة إخوته كما اختلفوا في شهادة صاحبي السّجن: أهو مشروط بإجابة طلبهم في أخذ البدل منهم، أم هو خاص بسابق إحسانه لهم، أم عام بما شاهدوا دلائله وأماراته لهم ولغيرهم.

القول الأول: إنّه وصف مشروط بتحقق الفعل إنا نرى ذلك منك إحساناً إن فعلتَ. أي إن رددت أخانا علينا، وقبلت منا واحداً مكانه وهو قول ابن إسحاق [1].

القول الثاني: وهو القول بخصوص إحسانه إليهم في توفية الكيل ورد البضاعة؛ وحسن إنزالهم في المنزل والضيافة والقرى؛ فقد رأوه وعلموه محسنًا [2] قال تعالى **(وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ)** يوسف: ٦٥. قال الزجاج:" أي ممن يُحسِنُ ولا يُعَامِلُ بالتّحديد في واجب لأنه كان أعطاهم الطعام وأعطاهم ثمنه في رده البضاعة لهم " [3] وقال الرازي " إنا نراك من المحسنين إلينا حيث أكرمتنا وأعطيتنا البذل الكثير، وحصلت لنا مطلوبنا على أحسن الوجوه، ورددت إلينا ثمن الطعام"[4].

القول الثالث: القول بالعموم إنا نراك من المحسنين في أفعالك [5]. أي أرادوا وصفه بما رأوه من إحسانه في جميع أفعاله– معهم ومع غيرهم– والمعنى: إنَّا نَراكَ من المتعودين للإحسان، المتمرنين فيه. فتمم علينا إحسانك وامتنانك؛ سيما على الشيخ الضعيف الضرير. أو كما أحسنت إلى من أتاك من الآفاق فأحسن إلينا [6] أو من عادتك الإحسان فاجْرِ على عادتك ولا تغيرها [7].

القول الرابع: بمعنى العدل جوّزه الماوردي، قال:" ويحتمل ثالثاً: إنا نراك من العادلين، لأن العادل محسن" [8]، وهو قول ابن كثير قال: أي: من العادلين المنصفين القابلين للخير [9].

فأمّا هذا القول فبعيد يرده المعنى والسياق؛ فأمّا المعنى فالعدل غير الإحسان؛ وإن كان الأول داخل في الثاني. قال الراغب: " فالإحسان فوق العدل؛ وذاك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ماله. والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له،

1) ينظر: مقاتل بن سليمان، التّفسير 347/2، والطبري، جامع البيان 202/16، وابن أبي حاتم، التّفسير 2180/7، والحوفي، البرهان في علوم القرآن ص: 281، والواحدي، البسيط، 199/12، وابن عطية، المحرر الوجيز 269/3، والرازي، مفاتيح الغيب 491/18، وأبو حيان، البحر المحيط 309/6.

2) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة 271/6، الماوردي، النكت والعيون 66/3، و السمعاني، التّفسير 54/3، والبغوي، معالم التّنزيل 507/2، و ابن عادل، اللباب 176/11.

3) معاني القرآن وإعرابه 123/3.

4) الرازي، مفاتيح الغيب 491/18.

5) ينظر: الطبري، جامع البيان،202/16.

6) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم 205/2.

7) ينظر: الزمخشري، الكشاف 493/2، وعلوان، الفواتح الإلهية 382/1، ابن عطية، المحرر الوجيز 269/3، وأبو حيان، البحر المحيط 309/6.

8) الماوردي، النكت والعيون 66/3.

9) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 403/4.

فالإحسان زائد على العدل. فتحري العدل واجب وتحرى الإحسان ندب وتطوع "[1]. وقال ابن عطية:" فحد الإجزاء داخل في العدل، والتّكميل الزائد على حد الإجزاء داخل في الإحسان "[2]، وأما السياق فإن ما طلبه الإخوة من أخذ أحدهم بدلاً عن أخيهم لا ينسجم مع العدل بل هو من صور الظلم بمحاسبة أحد بجريرة غيره وهو ما رفضه يوسف **(قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ)** يوسف: 13.

والأليق الأخذ بعموم إحسانه عليه السّلام في جميع أفعاله إليهم وإلى كل قاصد، وقد عللوا طمعهم في استجابة طلبهم بما جبل عليه العزيز واشتهر به من الإحسان في كل شيء؛ حتّى فاض عنه ذلك بين الخاص والعام، ثم جاؤوا بحالة تتطلب هذا الإحسان وتستدعيه؛ بصفة خاصة قبل غيرها، وهي الأبوة المقترنة بكبر السن الموجب للرحمة والرعاية [3]؛ والاقتصار على أحد معاني الإحسان بالإحسان إليهم بالتّوفية والإكرام تخصيص من غير دليل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تنوع هذه الجوانب يصدقها التّعبير القرآنيّ في لفظة (نراك) مادة وصيغة، وعموم شهادات الإحسان كما تبين سابقاً [4].

5) **الصفح عن إخوته:** يعد كظم الغيظ وهو حفظ النّفس " من أن تمضي ما هي قادرةٌ على إمضائه، باستمكانها ممن غاظها، وانتصارها ممن ظلمها " [5] والعفو عن الناس أي: "الصافحين عن الناس عقوبَةَ ذنوبهم إليهم وهم على الانتقام منهم قادرون، فتاركوها لهم"[6] من أعلى مقامات الإحسان قال تعالى:**(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** آل عمران: ١٣٤.

وقد كان عليه السّلام مثالاً عظيماً على الإحسان في هذا المقام وقدوة يحتذى بها قال السعدي:" وكمل مراتب العفو والكرم حين قال له إخوته: **(قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ** (91) **قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)** يوسف: ٩١ – ٩٢ فارتقى إلى أعلى مقامات الفضل والخير، والصدق والكمال، نشر الله له الثناء بين العالمين" [7].

فقد تجلت قيم السماحة والرحمة والصبر، والتّجاوز عن السيئات، الناطقة بالإحسان في شخصيته عليه السّلام؛ فلم يكتف بنسبة فعلة إخوته النكراء وإرثهم الكبير في السوء إلى الجهل تبريراً ومعذرة لهم **(هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ)** يوسف: ٨٩، بل بادرهم عند اعترافهم بالذنب بالعفو والصفح قبل أن يطلبوه، كفاية وإكراماً لهم، غير معاتب أو عاذل، ثم ترقى في السماحة فدعا لهم بالمغفرة والرحمة، قال: **(لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)** يوسف:٩٢، قال الطبري:" لا

1) الراغب، المفردات ص 119.
2) ابن عطية، المحرر الوجيز 416/3.
3) أحمد عز الدّين عبدالله خلف، يوسف بن يعقوب عليهما السّلام، ص409.
4) ينظر رد تخصيص العموم في إحسانه إلى من السّجن، ص26.
5) الطبري، جامع البيان، 214/7.
6) الزمخشري، الكشاف 415/1.
7) السعدي، الفوائد المستنبطة من سورة يوسف ص36.

تعيير عليكم " [1]، وقال الزمخشري: " لا تأنيب عليكم ولا عتب... والمعنى: لا أثربكم اليوم، وهو اليوم الذي هو مظنة التّثريب، فما ظنكم بغيره من الأيام، ثم ابتدأ فقال يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم"[2].

وقال السعدي: "وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين"[3]. وقد تمثل نبينا الكريم سيد المحسنين عليه أزكى الصّلاة وأتم التّسليم هذا الموقف في فتح مكة قال: «يا معشر قريش، ما تقولون؟» قالوا: نقول: ابن أخ، وابن عم رحيم كريم، ثم عاد عليهم القول قالوا مثل ذلك، قال: " فإني أقول كما قال أخي يوسف: **(قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)** [يوسف: 92] فخرجوا فبايعوه على الإسلام... [4].

6) الإحسان إلى والديه: أظهرت الآيات الكريمات حب يعقوب عليه السّلام العميق لولده يوسف وحنوه عليه كما في بداية القصّة حيث أنبأه بالرؤيا واجه الوالد المحب الملهوف، والنّبيّ المطمئن، الموصول بالاستبشار والخوف معاً؛ تلك الرؤيا الواعدة الّتي رآها يوسف وهو يرى فيها بشائر مستقبل مرموق، بينما هو يتوجس خيفة من الشيطان وفعله في نفوس بنيه فدعاه إلى كتمانها، قال تعالى: **(قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ)** يوسف: ٥، وكذلك عندما راوده أبناؤه عن يوسف حتّى يأذن لهم في اصطحابه معهم وعظيم خوفه عليه: **(قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ)** يوسف: ١٣، ومن ثم حزنه العميق عند فقده وهم يفاجئونه بالفجيعة وادعاء أكله الذئب قال تعالى: **(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)** يوسف: 17-18.

ثم في فجيعته الثانية والداً ملهوفاً ونبياً موصولاً بعد أن دبر اللّه ليوسف كيف يأخذ أخاه. فأثيرت شجونه في فقد يوسف قبله، وابيضت عيناه، وأوشك على الهلاك؛ بل وندب بنيه إلى الذهاب في الأرض مستعلمين أخبار يوسف وأخيه: **(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنّه هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)** يوسف: ٨٣ - ٨٤.

وفي آخر مواقف المحنة الطويلة للشيخ المبتلى المشتاق –وهو يشم ريح يوسف في قميصه، ويواجه غيظ بنيه وتبكيتهم– فلا يشك في صدق ظنه بربه **(وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ)** يوسف: ٩٤ - ٩٥ [5].

وأما إحسان النّبيّ يوسف عليه وسلّم وبره بوالده فمتحقق لا شك فيه، وإن سكت القرآن عن تفاصيله، ولعل ذلك البر كان أحد أسباب حظوته لدى أبيه، ومكانته عنده، وقد تجلى هذا البر في تباشير الفرج بعد الشّدّة، وعلى مشارف تحقق الوعد في موقفين الأول: لما عفا يوسف عن إخوته طلب منهم أن يأخذوا قميصه ويلقوه على وجه أبيهم كي يعود مبصراً وأن يأتوا بجميع أهله كي يشاركوه المنحة بعد معاناتهم المحنة قال: **(اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)** يوسف: ٩٣، فحصل له ما أراد، والثاني: لما التّحقوا به و أحسن استقبالهم ونوه لأبيه بالرؤيا تذكرة وبشرى لتحققها صدقاً قال تعالى **(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السّجن وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ**

1) الطبري، جامع البيان 247/16.

2) الزمخشري، الكشاف502/2.

3) السعدي، تيسير الكريم الرّحمن ص 405.

4) النّسائي، السنن الكبرى، كتاب التّفسير، باب: قَوْلُهُ تَعَالَى: {جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} [الإسراء: 81]155/10 ح11234. وهو حديث صحيح. ينظر: الصوياني، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة 43/4.

5) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، 1957/4،1958.

الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّه هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) يوسف: ٩٩ -١٠٠، قال أبو السعود: " ضمهما إليه واعتناقهما، وكأنه عليه الصّلاة والسّلام ضرب في الملتقى مضرباً فنزل فيه، فدخلوا عليه فآواهما إليه، وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين من الشدائد والمكاره قاطبة... {ورفع أبويه} عند نزولهم بمصر على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لإخوته"[1].

وهكذا جرى الإحسان في حياة يوسف وبكل مراحلها، وتنوعت صوره حتّى شهد له بذلك كل من حوله والتّقى به، جذوة عطاء، تمنح الصلاح لكل جوانب الحياة، كالغيث أينما حل نفع.

المطلب الرابع: ثمرات الإحسان في شخصيّة يوسف عليه السّلام

تعددت ثمرات الإحسان في القرآن وتلونت أطيافها في الدّنيا والآخرة بياناً وتنصيصاً حيناً، وإبهاماً للتعظيم أو التّنويع حيناً آخراً مصداقاً لقوله تعالى: **(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)** الرّحمن: ٦٠.

فمن إبهام الأجر: قوله تعالى **(بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** البقرة: ١١٢، وقوله: **(الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ)** آل عمران: **172**، وقوله **:(وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدّنيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ)** النحل: **٣٠**.

وكذلك وعد الله المحسنين بتثبيت أجرهم غير منقوص قال تعالى: **(وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)** هود: ١١٥. بل بزيادة الأجر تناسبا مع سمو التّكليف كما في قوله تعالى:**(وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)** البقرة: ٥٨، وقوله تعالى: **(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** يونس: ٢٦، وجعل الإحسان سبباً لاستحقاق محبته، قال تعالى: **(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** البقرة: **195**، وقوله: **(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** آل عمران: **134**، وقوله: **(فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدّنيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** آل عمران: ١٤٨، وقوله **(فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** المائدة:**16**، ومحلاً لرضاه ورحمته، قال تعالى : **(وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)** التّوبة: ١٠٠، وقوله تعالى**(إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)** الأعراف: ٥٦، بل ومقاماً لمعيته، قال تعالى **:(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)** النحل: ١٢٨، وقوله **:(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)** العنكبوت: ٦٩، وسبباً لتحصيل هدايته، قال تعالى: **(أَوَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** الأنعام: **84**، ورفيع عطائه حكماً وعلماً، قال تعالى: **(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** القصص: ١٤. وغيرها من الآيات في بيان فضل وعظم ثواب المحسنين.

وقد ظهرت آثار الإحسان في شخصيّة يوسف عليه السّلام وثمراته الحسان في عطايا ربه الجزيلة؛ نقرأ ذلك في مواقف عدة في قصته عليه السّلام جزاء على إحسانه، وهي:

أوّلاً: التّمكين في الأرض وإيتاء الحكم والعلم.

قال تعالى: **(وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** يوسف: ٢١ – **22** : كان إقامة يوسف في بيت العزيز الذي أوصى بإكرامه، واكتسابه الخبرة بمخالطته للعزيز وعونه على أعبائه أول أسباب التّمكين في الأرض، ومبتدأ للتمكين الأكبر على خزائن الأرض فيما بعد، قال الرازي: " وكذلك مكنا

1) تفسير أبو السعود، إرشاد العقل السليم 307/4.

ليوسف في الأرض، أي: كما أنعمنا عليه بالسّلامة من الجب؛ مكناه بأن عطفنا عليه قلب العزيز، حتّى توصل بذلك إلى أن صار متمكناً من الأمر والنهي في أرض مصر"[1].

وقال ابن عاشور: " والتّمكين في الأرض هنا مراد به ابتداؤه وتقدير أول أجزائه، فيوسف- عليه السّلام- بحلوله محل العناية من عزيز مصر قد خط له مستقبل تمكينه من الأرض بالوجه الأتم الذي أشير له بقوله تعالى بعد **(وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)** [سورة يوسف: 56]، فما ذكر هنالك هو كرد العجز على الصدر مما هنا، وهو تمامه "[2].

فكانت ثمرات إحسانه الذي تمثل في استقامته، وكمال إيمانه وصبره على بلائه، في: الجب والرق والبعد عن الأهل تترى قبل بلوغه الأشد تكميلاً في صفة القدرة والمكنة؛ دل عليه قوله **(مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ)** وتكميلاً في صفة العلم، وإليه الإشارة بقوله: **(وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)** ومنه تأويل الرؤى، وذلك وفق إرادة الله وتدبيره لأمر يوسف وقضائه الغالب، ثم تسامت هذه الثمرات بعد بلوغه أشده في إيتائه حكماً وعلماً، وبذكر (له) بيان أن جميع ما فاز به من النعم كان كالجزاء على إحسانه [3].

قال الزمخشري: "**(وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** تنبيه على إنّه كان محسناً في عمله، متقيا في عنفوان أمره، وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه. وعن الحسن: من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله" [4].

وأما بلوغه الأشد مقام العطاء فهو زمان شبابه واشتداد جسمه وقوته [5]، قال أبو عبيدة: "العرب تقول: بلغ فلان أشده، إذا انتهى منتهاه في شبابه وقوته قبل أن يأخذ في النقصان " [6].

وقال الراغب: "ففيه تنبيه أن الإنسان إذا بلغ هذا القدر يتقوى خلقه الذي هو عليه، فلا يكاد يزايله بعد ذلك"[7]، وقد اختلف في حده ومدته فجعل أوله محصورا بالبلوغ مع إيناس الرشد[8]، ونهايته وتمامه محصوراً عند الأربعين واختلفوا فيما بين ذلك [9]، ولا دليل على تقييده بسني محددة.

قال الطبري: معلقاً على ما ورد فيها من خلاف [10] " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر إنّه آتى يوسف لما بلغ أشدهُ حكمًا وعلمًا؛ والأشد": هو انتهاء قوته وشبابه، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثماني عشرة سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ولا دلالة له في كتاب الله، ولا أثر عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ولا في إجماع الأمة، على أيّ ذلك كان. وإذا لم يكن ذلك موجودًا من الوجه الذي ذكرت، فالصوابُ أن يقال فيه

1) الرازي، مفاتيح الغيب 435/18.
)2ابن عاشور، التّحرير والتّنوير 247/12.
3) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب 435/18-436.
4) الزمخشري، الكشاف 454/2، وينظر: البيضاوي، أنوار التّنزيل 160/3، ابن عجيبة، البحر المديد، 585/2
5) ينظر: القاسمي، محاسن التّأويل 164/6
)6مجاز القرآن 454/2.
7) الزمخشري، الكشاف 454/2، وينظر: البيضاوي، أنوار التّنزيل 160/3، ابن عجيبة، البحر المديد، 585/2
8) ينظر: الزجاج، معاني القرآن 305/2.
9) ينظر قول الأزهري في معنى الأشد عند ابن منظور، لسان العرب 235/3.
10) ينظر الأقوال في جامع البيان 21/15-23، وابن أبي حاتم، التّفسير 2118/7-2119، وابن الجوزي، زاد المسير 425/2، والسيوطي، الدر المنثور 518/4.

كما قال عز وجل..." [1]. وأما الحكم الذي أوتيه عليه السّلام جزاء على إحسانه فقيل إنّه "الحكمة وهو العلم المؤيد بالعمل، أو الحكم بين الناس " [2].

ف"الحكم عند العرب ما يصرف عن الجهل والخطأ، ويمنع منهما، ويردُّ النّفس عما يشينها ويعود عليها بالضرر، .... وسمي الحاكم حاكماً، لأنه يمنع من الظلم والزّيغ" [3].

والمعنيان متحققان في سيرته عليه السّلام؛ فهو الحكيم الفقيه المبصر فيما يعرض له أو عليه من النوازل والمشكلات مقروناً بالحق والصواب [4]، وقد تولى الحكم بين الناس لما مكن له وتولى خزائن مصر. وأما القول إن الحكم هو النبوة فبعيد [5] فهي لا تكتسب ولا يجازي بها المحسن على صلاحه وإحسانه؛ بل هي اصطفاء من الله. وقيل في العلم المجازى به إنّه الفقه والعلم بالدّين أو علم الرؤيا [6]، والأولى، التّعميم. وهذا ما يومئ إليه التّنكير فيدخل تحته كل بصيرة أو علم نافع له محتاج إليه في تيسير أمور دنياه وآخرته، ومنه علم الدّين، وعلم الرؤى، وعلم السياسة، والحكم، والاقتصاد، ونحوها.

وفيهما، أي: الحكم والعلم. يتجلى بليغ إيجاز الكتاب الحكيم بهذه الأوصاف الجامعة، وتفصح الآية الكريمة عن سنة من سنن الله وهي إكرام المحسنين عموماً بالحكمة والعلم، فيعطى المحسن لإحسانه الهدى والعلم والبصيرة.

(وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) أي: وكذلك شأننا وسنتنا في جزاء المتحلين بصفة الإحسان، وقد جعل الإمام الطبري هذا التّذييل من العموم الذي أريد به الخصوص حيث قصد بالمحسن هنا نبينا محمّد عليه أفضل الصّلاة وأتم التّسليم، قال" وقوله: **(وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** يقول تعالى ذكره: وكما جزيت يوسف فآتيته بطاعته إيّاي الحكمَ والعلمَ، ومكنته في الأرض، واستنقذته من أيدي إخوته الذين أرادوا قتله، كذلك نجزي من أحسن في عمله، فأطاعني في أمري، وانتهى عما نهيته عنه من معاصيّ. وهذا، وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فإن المرادَ به محمّد نبيُّ الله صلّى الله عليه وسلّم. يقول له عز وجل: كما فعلت هذا بيوسف من بعد ما لقي من إخوته ما لقي، وقاسى من البلاء ما قاسى، فمكنته في الأرض، ووطَّأتُ له في البلاد، فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكن لك في الأرض، وأوتيك الحكم والعلم، لأنّ ذلك جزائي أهلَ الإحسان في أمري ونهيي "[7].

والأولى أن يكون وعداً عاما لكل محسن، وإن دخل يوسف عليه السّلام ونبينا عليه الصّلاة والسّلام دخولاً أولياً، قال الشوكاني: "والأولى ما ذكرناه من حمل العموم على ظاهره فيدخل تحته ما ذكره ابن جرير الطبري"[8].

وهكذا تخللت هذه الآيات الكريمات تضاعيف نظم قصّة يوسف لمعنى بديع، وهو البدار إلى الإعلام بنتائج صبر يوسف وتقواه، وثمرات إحسانه، إذ طوى له المنح في تلك المحن، وذخر له السيادة في تلك العبودية [9].

---

1) جامع البيان 23/15.
2) أبو عبيدة، مجاز القرآن 454/2، وينظر ابن العربي، أحكام القرآن 38/5.
3) ابن الجوزي، زاد المسير 425/2.
4) ينظر: محمّد رشيد رضا، تفسير المنار 226/12
5) ينظر: الماوردي، النكت والعيون 21/3 ونسبه للسدي، وابن الجوزي، زاد المسير 425/2 ونسبه لابن السّائب.
6) ينظر المرجعين نفسيهما.
)7الطبري، جامع البيان 24/15، وينظر: الحوفي، البرهان في علوم القرآن ص: 166، وابن الجوزي، زاد المسير 425/2، والقرطبي، الجامع 162/9.
8) الشوكاني، فتح القدير 18/3.
9) ينظر: القاسمي، محاسن التّأويل 164/6

ثانياً: كمال التّمكين واستحقاق الرحمة وتوفية الأجر وثباته في الدّنيا والآخرة.

قال تعالى: **(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (57))**. يوسف: ٥٤ - ٥٧، لما جمع يوسف بين إحسانه للملك بتعبير رؤياه، بل إحسانه لعموم الأمة برؤية ثاقبة في بناء خطته الاقتصادية، وبين حصحصة الحق بثبوت براءته؛ دعاه الملك لصفاء مودته له وعميق إعجابه؛ استخلاصاً لنفسه، معيناً له، شاهداً له بالقدر والمكانة الّتي مكنته من القلوب والأمانة؛ مما شجع يوسف بعد معرفته لعظيم إمكانياته، وتوفر مؤهلاته: حفظاً وعلماً، أن يطلب منه أن يجعله على خزائن الأرض قيماً عليها مديراً لشؤونها، كل ذلك تمهيداً لتحقيق كمال تمكينه في الأرض الذي كان بقدر الله ومشيئته في تدبير إجابة الملك لطلبه وتمكينه في قلبه، بعد أن مكنه قبلاً في قلب العزيز فاستوصى به خيراً، وأفلح في مقام الابتلاء والاختبار، ليحصل تمام التّمكين ومطلق التّصرف ليوسف يتبوأ من الأرض حيث يشاء: حرية وانطلاقاً وعزّاً وسلطاناً ونصراً وتأييداً، بعد حال النفي والاسترقاق، وما ذلك إلا عطاء رحمة الله لمن يشاء، وحسن ثوابه لعباده المحسنين على ثباتهم على مراقي الصبر والتّقوى والفضائل أجراً ثابتاً كاملاً غير منقوص؛ فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً في الدّنيا، وفي الآخرة جزاء أوفى يجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ سنة الله في عباده المحسنين.

ثالثاً: حصول المنن وقضاء الحاجات.

قال تعالى: **(قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّه مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90))** يوسف: ٨٩ - ٩٠. ففي مقام إجابة يوسف عليه السّلام لإخوته تأكيداً لظهور هويته أمامهم بعد ظهور أمارة ذلك، وتعريضاً بهم؛ بل ووعظهم لإخوته في الالتّزام بجميع مقامات التّقوى والصبر وصولاً إلى الإحسان، ومن باب التّحدث بنعمة الله إذ هو سائغ للأنبياء لأنه من التّبليغ[1] عرض الكريم لكرامة الإحسان وفضله في كشف الكربات وقضاء الحاجات بالمن عليه وعلى أخيه بالوصال [2]، قال الطبري: " بأن جمع بيننا بعد ما فرقتم بيننا"[3]، "وبالسّلامة ثم بالكرامة "[4]، وبحفظ أجورهم غير منقوصة في الدّنيا وفي الآخرة الجزاء الأتم الأوفى.

قال صاحب مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السّلام "نتعلم من هذه الآية الفذة الجامعة: أن التّقوى هي البقوى، وهي السبب الأقوى، وأن الصبر عواقبه الجبر والنبر، ونتعلم منها أيضاً أن الإنسان يجازى على تقواه في الدّنيا والآخرة، حيث جعل منة الله عليه وعلى أخيه من ثواب التّقوى والصبر " [5]. وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

الخاتمة:

ومع عبق المقام حول مأدبة القرآن وقصصه، استخلاصاً للعبر والعظات، وتأملاً للمثل والقدوات، يسفر البحث عن النتائج الآتية:

1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير 49/13.
)2الإيجي، جامع البيان 246/2
3) الطبري، جامع البيان، 244/16.
4) العز بن عبد السّلام، التّفسير 137/2.
5) عبد الله العلمي 1148/2.

–تعدّ الشّخصيّة من أهم عناصر القصّة الأدبية تكاملاً مع الحدث، وقد عرضت في القصّة القرآنيّة من خلال أحداثها بملامح تصويرية دقيقة، وقوّة عرض محكمة، حيث صورت الشّخصيّة أروع تصوير، برزت فيه سماتها ومكوناتها في بعدها النّفسي، وغدا الاقتصار على السمات الجوهرية في القصّة، والأحداث الرّئيسية، والوضوح، والواقعية، والصدق، خصائص مطردة في بناء الشّخصيّة في القصّة القرآنيّة.

–ارتسمت شخصيّة يوسف عليه السّلام من خلال أحداث قصته في القرآن بسماتها واتجاهاتها بصورة ماثلة واضحة الأبعاد، وهي شخصيّة النّبيّ المؤيد بتوفيق الله، والمواهب اللدنية الكبيرة المتفوقة، والخصائص النّفسية للصفوة المختارة.

– من أبرز مكونات شخصيّة يوسف عليه السّلام ومواهبها العظيمة: العفة الناصعة، والعصمة من السوء والصدق؛ بل أرفع مراتب الصدق وهي الصديقية، وكذلك تبدت شخصيته القيادية الإدارية المرموقة، وتمثلت مؤهلاتها فيه من ضبط وحفظ وأمانة ودقة وعلم وخبرة، وتجلت حكمته وحصافته ولطف تعبيره وتهذيب مقاله بل وهدوء طبعه ورباطة جأشه وضبطه لمشاعره وانفعالاته.

–عرض القرآن الكريم لأركان الإحسان حلقاته ألا وهي الصبر والتّقوى؛ فقد صرحت كثير من الآيات الكريمات أن مقام الإحسان هو الجمع بين التّقوى بمعانيه المختلفة، والصبر بألوانه المتعددة فالصبر والتّقوى هما جناحا الإحسان، وقد تمثلت هذه الأركان الإحسان في شخصيّة يوسف عليه السّلام، فكمل مراتب التّقوى كما كمل مراتب الصبر فاستحق وصف الإحسان الجامع بينهما.

–نقلت قصته عليه السّلام شواهد تقواه وحسن سيرته كالرؤيا الصادقة الّتي أراها الله ليوسف في صباه، أمارة على أن الله تعالى يبلغه مبلغاً من الحكمة، ويصطفيه للنبوة والرسالة والملك، واستقامته عليه السّلام وهو قابض على دينه في بيت العزيز الفرعوني الكافر وموقفه أمام مراودة امرأة العزيز، ودعوته للتوحيد في محبسه، وثنائه على الله في ختام القصّة.

–كمل يوسف صلوات الله وسلامه عليه لمراتب الصبر على البلاء الذي استهلك سنوات ناضرة من عمره، يعاني أذية إخوته وحيداً فريداً في وحشة البئر، ومسترقاً مباعاً بثمن بخس، ومجاهداً ضد الفتنة في القصر، ومحروماً من بهجة الحياة ونعيمها في السّجن، وبعيداً في ذلك كله عن أبيه وأحبابه معانياً مرّ فراقهم؛ فقابل كل ذلك بالصبر الجميل.

–تمثلت صور الإحسان ومجالاته في شخصيّة يوسف عليه السّلام حتّى أضحى علماً على الإحسان، إحسانا إلى النّفس بكمال العبادة والتّرقي في مقام التّقوى ومراقبة الله، وإحساناً إلى الآخرين وإجزال النفع إليهم كإحسانه إلى من في بيت العزيز، وإحسانه إلى من في السّجن، وإحسانه إلى الملك ورعيته بتأويله الرؤيا للملك مقرونة بالخطة الاقتصادية المنقذة من كارثة المجاعة، وإحسانه عند توليه خزائن مصر إلى الرعية بإقامة ميزان العدل والحق وتحقيق الرّخاء، وللمتضررين من المجاعة، ومنهم إخوته إحساناً عاماً في جميع أفعاله إليهم وإلى كل قاصد، وكذلك في الصفح عن إخوته وهو من أعلى مراتب الإحسان وسماً للخاصة وأفقاً للعظمة، ثم الإحسان إلى والديه حنواً وإكراماً.

–تعددت ثمرات الإحسان في القرآن وتلونت أطيافها في الدّنيا والآخرة: بياناً وتنصيصاً حيناً، وإبهاماً للتعظيم أو التّنويع حيناً آخر، وقد تنعم عليه السّلام بهذه العطايا الجزيلة إذ طوى له المنح في المحن حكماً وعلماً، وتمكيناً في الأرض، واستحقاقاً للرحمة، وحصولاً للمنن بالوصال وبالسّلامة، ثم بالكرامة وثبات الأجر وتوفيته، وما عند الله خير وأبقى، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

ويوصي البحث:

بإفراد كل شخصيّة من قصص الأنبياء والصالحين بدراسة مركزة يتدبّر فيها رفيع منازلهم العليا، وتدعو إلى التّأسي والاقتداء بهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أوّلاً: المراجع العربية:

الأزهري، أبو منصور محمّد بن أحمد، (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمّد عوض مرعب، دار إحياء التّراث العربي – بيروت، ط: الأولى، 2001م.

الألباني: محمّد ناصر الدّين (ت 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة)، مكتبة المعارف، 1415 – 1995م.

الألوسي، شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني(ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية . بيروت، ت: 1415 هـ.

الإيجي، محمّد بن عبد الرّحمن الحسني الشافعيّ (ت: 905هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1424 هـ – 2004 م.

باحاذق، عمر محمّد، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، دار المأمون، دمشق، ط1، 1993م.

البخاري، محمّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري(ت256هـ)، الجامع الصحيح، دار طوق النجاة – بيروت، ط: الأولى، 1422هـ.

البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود (ت 510هـ)، معالم التّنزيل، تحقيق: محمّد النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتّوزيع، ط: الرابعة، 1417 هـ – 1997م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي (ت: 685هـ)، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، تحقيق: محمّد المرعشلي، دار إحياء التّراث العربي – بيروت، ط: الأولى – 1418 هـ.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي (ت: 597هـ)، زاد المسير في علم التّفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى – 1422 هـ.

الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة 1407 هـ – 1987م.

ابن أبي حاتم، أبو محمّد عبد الرّحمن بن محمّد التّميمي، الرازي (ت: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية، ط: الثالثة – 1419 هـ.

الحاكم، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله النيسابوري(ت405هـ)، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة – بيروت.

ابن حبان، محمّد بن حبان أبو حاتم البُستي (ت 354هـ). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط الثانية، 1993م.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمّد بن أحمد بن (ت: 852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت، 1379 هـ.

الحوفي، علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن (المتوفى: 430 هـ)، البرهان في علوم القرآن للإمام الحَوفيّ – سورة يوسف دارسة وتحقيقا، تحقيق: إبراهيم عناني عطية عناني، جامعة المدينة العالمية – كلية العلوم الإسلاميّة قسم القرآن الكريم وعلومه، ماليزيا، 1436 هـ – 2015م.

أبو حيان، محمّد بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التّفسير، تحقيق: صدقي محمّد جميل، دار الفكر – بيروت، ط: 1420 هـ،

الخازن، أبو الحسن علي بن محمّد (ت: 741هـ)، لباب التّأويل في معاني التّنزيل، تحقيق: محمّد شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – 1415 هـ.

الخليل، أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السّامرائي، دار ومكتبة الهلال.

دبور، محمّد عبد، أسس بناء القصّة في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1996م.

الدولات، خالد، الشّخصيّة في القصّة القرآنيّة، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك–1996م.

الرازي، أبو عبد الله محمّد بن عمر التّيمي الرازي الملقب بفخر الدّين (ت: 606هـ)، مفاتيح الغيب = التّفسير الكبير، دار إحياء التّراث العربي – بيروت، ط: الثالثة – 1420 هـ.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: الأولى 1412 هـ.

ـــــــــــ، تفسير الراغب الأصفهاني= من أول سورة آل عمران – وحتّى الآية 113 من سورة النّساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار الوطن – الرياض، ط الأولى: 1424 هـ – 2003م.

رشيد رضا، محمّد رشيد بن علي رضا الحسيني (ت: 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990م

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى 1408 هـ – 1988 م

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة – 1407 هـ.

السعدي، عبد الرّحمن بن ناصر (ت 1376هـ)، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرّحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى 1420هـ –2000م.

ـــــــــــ، الفوائد المستنبطة من سورة يوسف، تحقيق: أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، ط،1،2000م.

أبو السعود، محمّد بن محمّد بن مصطفى العمادي (ت: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التّراث العربي – بيروت.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمّد (ت: 373هـ)، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمّد (ت 489هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن – الرياض، 1418هـ– 1997م.

سيد قطب، ابن إبراهيم حسين الشاربي (ت 1385هـ)، التّصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق –مصر، ط السّابعة عشر،2004م.

ـــــــــــ، في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط: السّابعة عشر – 1412هـ.

السيوطي، عبد الرّحمن بن أبي بكر، جلال الدّين (ت 911هـ)، الدر المنثور، دار الفكر – بيروت.

الشنقيطي، محمّد الخَضِر بن سيد عبد الله (ت1354هـ)، كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ – 1995 م

الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمّد(ت 1069هـ)، عِنَايةُ القاضي وكِفَايةُ الراضي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، دار النشر: دار صادر – بيروت.

الشيخ، عبد الوهاب، بناء الشّخصيّة في القصّة القرآنيّة، دراسة نفسية، مجلة الجامعة العراقية(ع1/29).
الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير الآملي (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، 1420 هـ – 2000 م.
الطيبي، الحسين بن عبد الله (ت 743 هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، التّحقيق: جميل بني عطا، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط: الأولى، 2013م.
ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي النعماني (ت 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1419 هـ –1998م.
ابن عاشور، محمّد الطّاهر بن محمّد بن محمّد الطّاهر بن عاشور التّونسي (ت: 1393هـ) التّحرير والتّنوير، مؤسسة التّاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1420هـ/2000م.
عباس، فضل حسن، قصص القرآن الكريم، دار النفائس –عمان، ط الثالثة، 2010م.
عبد الله، أحمد عز الدّين، يوسف بن يعقوب عليهما السّلام، مطبعة السعادة، ط1، 1978م.
عبيد، محمّد رشدي، قصّة يوسف في القرآن، دراسة أدبية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الأولى 1423هـ.
ابن عجيبة، أحمد بن محمّد بن المهدي، أبو العباس (ت 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان،الناشر: حسن عباس زكي – القاهرة، ط1419 هـ.
ابن العربي، محمّد بن عبد الله أبو بكر الاشبيلي (ت543هـ)،أحكام القرآن،تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط3، 1424 هـ – 2003 م.
العز بن عبد السّلام، عبد العزيز بن عبد السّلام السلمي (ت 660 هـ)، تفسير العز بن عبد السّلام تفسير القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم . بيروت، ط الأولى: 1996م.
ابن عطية، أبو محمّد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – 1422 هـ.
العلمي، عبد الله العلمي، مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السّلام، دار الفكر، 1961م.
علوان، نعمة الله بن محمود (ت 920هـ)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنيّة والحكم الفرقانية، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ط: الأولى، 1419 هـ – 1999 م.
أبو علي الفارسيّ، الحسن بن أحمد (ت 377هـ)، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدّين قهوجي – بشير جويجابي، دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، ط: الثانية، 1993م.
عليان، مصطفى عليان، بناء الشّخصيّة في القصّة القرآنيّة، دار البشير للنشر والتّوزيع.
عليش، متولي البني، موسوعة تفسير سورة يوسف، د.ط، د.ت.
العيني، أبو محمّد محمود بن أحمد (ت 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التّراث العربي – بيروت.
ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت395هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر – بيروت، 1399هـ – 1979م.
القاسمي، محمّد جمال الدّين بن محمّد سعيد بن قاسم الحلاق (ت1332هـ)،محاسن التّأويل،تحقيق: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت.ط1 1418هـ.
القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري الخزرجي (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، 1384هـ – 1964 م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت 774هـ)، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التّأليف – القاهرة، ط: الأولى، 1968م.

ـــــــــــــ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة للنشر والتّوزيع، ط: الثانية 1420هـ – 1999 م.

الكرماني، محمّد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدّين (ت 786هـ)، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التّراث العربي، بيروت–لبنان،ط2 1401هـ – 1981م.

الماتريدي، أبو منصور محمّد بن محمّد، (ت: 333هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1426 هـ – 2005 م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد البصري البغدادي (ت: 450هـ)، النكت والعيون، تحقيق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت.

ابن المبارك، عبد الله بن المبارك المرزوي أبو عبد الله (ت 181هـ) الزهد، حقيق: حبيب الرّحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت.

محمّد، محمّد إسماعيل، الفكر الإسلامي، مكتبة العربي، بيروت.

المراغي، أحمد بن مصطفى (ت 1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأوّلاًده بمصر، ط: الأولى، 1365 هـ – 1946 م

مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، دار الكتب العلمية– بيروت، ط: الأولى – 1424 هـ – 2003 م.

ابن منظور، محمّد بن مكرم الأفريقي المصري(ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط الأولى.

مها صديق موسى، التّرابط التّكاملي بين الحبكة والشّخوص. د.ط، د.ت.

النَّحّاس، أبو جعفر أحمد بن محمّد المرادي النحوي (ت: 338هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمّد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المرمة، ط الأولى، 1409هـ.

النّسائي: أبو عبد الرّحمن أحمد بن شعيب (ت303هـ)، السنن الكبرى، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان، ط: الأولى 1421هـ – 2001م.

نصر، محمّد موسى وسليم الهلالي، إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف عليه السّلام، مكتبة الرشد، ط1، 2003م.

نقرة، التّهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، الشركة التّونسية، تونس، ط1، 1974م.

نوفل، أحمد نوفل، تفسير سورة يوسف، دراسة تحليلية، دار الفرقان –عمان، ط الأولى 1989م.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التّراث العربي – بيروت، ط الثانية، 1392هـ.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت 468هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ – 1994م.

ـــــــــــــ، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، تحقيق: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، ط: الأولى، 1430 هـ.

قائمة المراجع المرومنة:

Alazhari, A, (2001). Language Refinement (In Arabic). Investigated by Muhammad Awad Mureb. Arabic Heritage Reviving Center. Beirut.

Alalbani, M. (1995) Proper Hadith Series and some of its doctrine and its benefits (In Arabic). AlMaaref Library.

Alalosi, S. (1994). The Spirit of Meanings in Interpreting Quran (In Arabic). Investigated by Ali Abdul Bari Ateyya, Scientific Books Center. Beirut.

Alegi, M. (2204). The Inclusive Statement In Interpreting Quran (In Arabic). Scientific Books Center. Beirut.

Bahatheq, O. (1993). The Aesthetic Side In The Stories Of Quran (In Arabic). Alma'moun Center. Damascus.

Albukhari, M. (2001). The Proper Inclusive (In Arabic). Tawq Alnajat Center. Beirut.

Albaghwi, A. (1997). Revelation Milestones (In Arabic). Teeba Center for Publishing and Distributing.

Albuqai, I. Orders Of Jewels In Appropriation of Verses and Chapters (In Arabic). The Islamic Book Center. Cairo.

Albaydawi, A. (1997). The Lights of Revelation and Interpretation (In Arabic). Arabic Heritage Reviving Center. Beirut.

Ibn Aljawzi, A. (2001). The Supply of March In The Science of Interpretation (In Arabic). The Arabic Book Center. Beirut.

Aljawhari, I. (1987). Propers: The Crown of The Language and The Arabic Propers (In Arabic). The Science Center for Millions. Beirut.

Ibn Abi HAtem, A. (1998). The Interpretation Of The Great Quran (In Arabic). Nizar Mustafa Albaz Library. Kingdom Of Saudi Arabia.

ALhakim, A. Redressing of Valid (In Arabic). Knowledge Center. Beirut.

Ibn Habban, M. (1993). The Valid Of Ibn Habban In The Order Of Ibn Bilban (In Arabic). Letter Institution. Beirut.

Ibn Hajar Alasqalani, A. (1959). Grant Of The Creator. Knowledge Center. Beirut.

ALhoufi, A. (2015). The Proof Of Quran Sciences for Al-Imam Alhoufi- Sourat Yousuf (In Arabic). Al-Madinah International University- Faculty Of Islamic Sciences.

Abu Hayyan, M. (1999). Tafsir Al-Bahr Al-Muheit. Knowledge Center. Beirut.

Alkhazen, A. (1994). The Pulp of Interpretation of The Meanings of Revelation. Science Books Center. Beirut.

Alkhaleel, A. The Eye. Dar Al-Hilal.

Dabbour, M. (1996). The Foundations of Building The Quranic Story (In Arabic). PHD Thesis. Al-Azhar University.

Aldoulat, Kh. (1996). The Character in The Stories of Quran. MA Thesis. Al-Yarmouk University-Jordan.

Alrazi, A. (1999). The Keys of Prescient- The Grand Interpretation. (In Arabic). Arabic Heritage Reviving Center. Beirut.

Alragheb Alasfahani, A. (1991). The Vocabularies Of The Unusual in Quran (In Arabic). Al-Qalam Center- Aldar Alshamiyyah. Damascus.

Alragheb Alasfahani, A. (2003). The Interpretation of Alragheb Alasfahani (In Arabic) . Al-watan Center. Riyadh.

Rasheed Rida, M. (1990). The Interpretation of The Wise Quran (In Arabic). General Egyptian Book Organization.

Azzujaj, A. (1988). The Expressions Of Quran and Its Syntax (In Arabic). Books World. Beirut.

Azzamakhshari, A. (1987). The Detector of Facts and Mysteries of Revelation (In Arabic). Arabic Book Center. Beirut.
Assadi, A. (2000). The Grant Of Gracious and Merciful God In Interpreting The Words of The Benefactor (In Arabic). Risalah Institution.
Assadi,A.(2000). The Discovered Benefits from Surat Yousuf (In Arabic). Investigated by Ashraf Abdul Maqsoud. The Lights Of Salaf.
Abu Soud, M. Guiding the Sane To The Merits of The Generous Book (In Arabic). Arabic Heritage Reviving Center. Beirut.
Assamarqandi, A. The Sea Of Sciences (In Arabic). Knowledge Center. Beirut.
Assamaani, A. (1997). The Interpretation Of Quran (In Arabic). Alwatan Center. Riyadh.
Sayyid Qutub, I. (2004). The Aesthetic Describtion in The Holy Quran (In Arabic). Alshorouq Center. Egypt.
Sayyid Qutub, I. (1991). In The Shade Of Quran (In Arabic). Alsorouq Center. Cairo- Beirut.
Assoyoti, A. The Scattered Pearls (In Arabic). Knowledge Center. Beirut.
Ashanqiti, M. (1995). The Ample Of Pearls Meanings In Unrevealing The Mysteries of Sahih Albukhari (In Arabic). Letter Institution. Beirut.
Ashehab Alkhafaji, A. The Providence of The Judge and The Competence of The Satisfied On The Interpretation Of Albaydawi (In Arabic). Dar Sader. Beirut.
Asheikh, A. Building The Character in The Stories Of Quran –Psychological Study (In Arabic). Iraqi University Magazine.
Attabari, A. (2000). The Inclusive Statement In Interpreting Quran (In Arabic). Letter Institution. Beirut.
Attibi, A. (2013). The Conquest of The Prescient In Revealing The Mask Of Doubt (In Arabic). Dubai International Award For The Holy Quran.
Ibn Adel, A. (1998). The Essence Of The Book's Sciences (In Arabic). Science Books Center. Beirut.
Ibn Ashour, M. (2000). The Liberation and Enlightenment (In Arabic). Arabic History Institution. Beirut.
Abbas. F. (2010). The Narration Of The Quran (In Arabic). Annafaes Dar. Amman.
Abdullah, A. (1978). Yousuf Bin Yacoub Peace Be Upon Them (In Arabic). Assaada Press.
Obeid, M. (2002). The Story Of Yousuf In The Quran (In Arabic). Alobeikan Library. Riyadh.
Ibn Ajeeba, A. (1998). The Prosper Sea Of Interpreting The Quran (In Arabic). Publisher: Hassan Abbas Zaki. Cairo.
Ibn AlArabi, M. (2003). The Provisions Of The Quran (In Arabic). Scientific Books Center. Beirut.
Alez Bin Abdulsalam, A. (1996). The Interpretation Of Alez Bin Abdulsalam – The Interpretation Of The Quran (In Arabic). Dar Ibn Hazm. Beirut.
Ibn Ateyya, A. (2001). The Brief Editor In Interpreting The Precious Book (In Arabic). Scientific Books Center. Beirut.
Alalami, A. (1961). Interpreting Surat Yousuf Peace Be Upon Him Conference (In Arabic). Dar Alfekr.
Alwan, N. (1999). The Divine Conqueror And The Prescient Keys (In Arabic). Dar Rakabi Press. Cairo.
Abu Ali Alfaresi. (1993). The Evidence of The Seventh Readers (In Arabic). Dar Almaoumon for Heritage. Damascuc- Beirut.
Ulayyan, M. Building The Character in The Story of The Quran (In Arabic). Dar Albasheer for press and Publish.
Oleish, M. The Encyclopedia of Interpreting Surat Yousuf (In Arabic).
Alayni, A. The Brace of The Reader : Illustrating Sahih Albukhari (In Arabic). Arabic Heritage Reviving Center. Beirut.

Ibn Fares, A. (1979). Language Measurements (In Arabic). Dar Alfikr. Beirut.
Alqasemi, M. (1997). The Beauty of Interpretation (In Arabic). Scientific Books Center. Beirut.
Alqurtobi, A. (1964). The Inclusive of The Rules Of The Quran (In Arabic). Egyptian Books Dar. Cairo.
Ibn Katheer, A. (1968). The Stories Of Prophets (In Arabic). Dar Altaaleef Press. Cairo.
Ibn Katheer, A. (1999). Interpretation Of The Great Quran (In Arabic). Dar Teeba For press and Distrusting.
Alkarmani, M. (1981). The Pearls Planets in Interpreting Sahih Albukhari (In Arabic). Arabic Heritage Reviving Center. Beirut.
Amatridi, A. (2005). Almatridi Interpretation (In Arabic). Scientific Books Center. Beirut.
Almaroudi, A. Anecdotes and Eyes (In Arabic). Scientific Books Center. Beirut.
Ibn Almubarak, A. Asceticism (In Arabic). Scientific Books Center. Beirut.
Mohammad, M. Islamic Ideology (In Arabic). AlArabi Library. Beirut.
Almaraghi, A. (1964). Almaraghi Interpretation (In Arabic). Mustafa Albabi Alhalabi and Sons Library, Press and Company. Egypt.
Muqatel, A. (2003). Muqatel Ibn Suleiman Interpretation (In Arabic). Scientific Books Center. Beirut.
Ibn Manthour, M. Lisan Al-Arab (In Arabic). Dar Sader. Beirut.
Maha Seddiq Mousa. The Complementary Coherence Between Plot and Characters (In Arabic). D.T.D.T.
Annahas, A. (1988). The Expressions of The Quran (In Arabic). Um AlQura University. Mecca.
Annesaei, A. (2001). Major Sunan (In Arabic). Message Institution. Beirut.
Nassr, M. (2003). It-haf Alelf Be Thekr Alfawaed Alalef wa Neef Min Surat Yousuf (In Arabic). Arushd Library.
Nuqra, A. (1974). The Story's Psychology in the Quran (In Arabic). Tunisian Company.
Nufal,A. (1989). The Interpretation Of Surat Yousuf- Analytical Study.(In Arabic). Dar Al-Furqan. Amman.
Annawawi, A. (1972). The Platform: Interpretation of Sahih Muslim Bin Alhajjaj (In Arabic). Arabic Heritage Reviving Center. Beirut.
Alwahedi, A. (1994). The Medium in Interpreting The Quran (In Arabic). Scientific Books Center. Beirut.
Alwahedi, A. (2009). The Modest Interpretation (In Arabic). Deanship Of Scientific Research. The Islamic University Of Imam Muhammad Bin Soud